الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

تجلّيات الواقعية النّقديّة في رواية "نَحيط الوطن" لحسيبة سوفي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- **صبرينة مزياني**
- **هاجر دراجي**

إشراف الأستاذ:

- **وليد رافع**

لجنة المناقشة:

1.	أ/ عبد القادر لباشي	جامعة البويرة	رئيسا
2.	أ/ وليد رافع	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3.	أ/ حسين قارة	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله العليّ العظيم ونشكره أن وفّقنا ويسّر لنا إنجاز هذه المذكرة التي هي ثمرة سنوات من الدراسة، ثم نتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذنا الفاضل المشرف على بحثنا هذا "رافع وليد" الذي كان عونا لنا، ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصـــائحه والذي كان له دور كبير في إنجاز هذا البحث. كما نتوجه بالشــكر إلى أعضـــاء اللجنة الموقرة، وأســـاتذة كلية الآداب واللغات كافة دون استثناء.

ولا ننسى أن نشكر كل من ساندنا وحفّزنا من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة.

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

أهدي ثمرة جهدي هذا:

إلى من قال فيهم عز وجل:(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا).

سندي وملجئي في الحياة إلى من رفعت رأسي افتخارا به والدي العزيز حفظك الله.

إلى التضحية... إلى من كانت دعواتها سر نجاحي والدتي الجميلة حفظك الله.

إلى نفسي الطموحة... أهدي لك النجاح.

إلى الأيادي التي تمد لي العون عندما أتعثر... إلى فرحة المنزل إخوتي وأخواتي حفظكم الله.

إلى من صنعن الفارق في أيامي.. إلى صديقاتي العزيزات حفظكن الله.

صـــبرينة

إهـــــداء

أهدي تخرجي:

إلى أعظم رجل عرفته... إلى قدوتي وحبيبي الأول... أبي أطال الله عمرك.

إلى أغلى ما وهبني الله... إلى من أفنت عمرها لأجلنا... أمّي الحبيبة أطال الله عمرك.

إلى موطن الأمان.. والذي لن أنسى حبه لي ما حييت.. جدّي أطال الله عمرك

إلى من كان دعاؤها حجابا لي... جدّتي أطال الله عمرك.

إلى من قال فيهم رب العالميّن "سنشد عضدك بأخيك"... إخواني وأخواتي حفظكم الله.

إلى صاحبات القلب النقي وداعماتي في الحياة خالاتي حفظكم الله.

إلى الغائب الحاضر... إلى ذاكرة القلب... عمّي حكيم رحمك الله وأسكنك فسيح جناته.

هاجـــــر

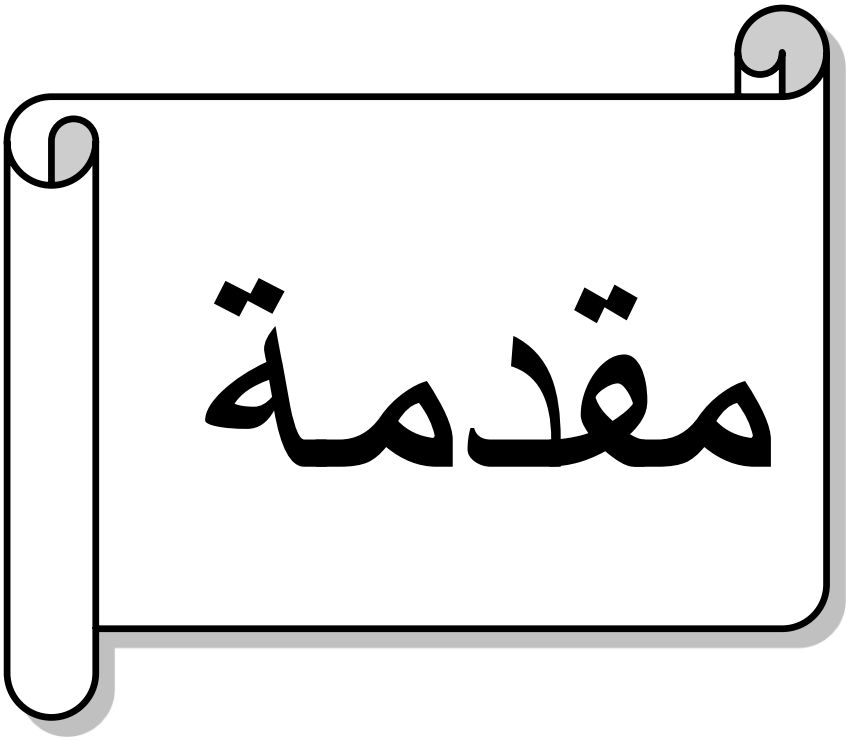
مقدمة

لقد كانت الرواية الجزائرية ولازالت تعبّر عن آلام المجتمع الجزائريّ ومعاناته بداية من زمن الاستعمار، فقد كشفت مدى وحشيّته، إذ لم يرقب في الشعب الجزائري إلاّ ولا ذمّة، ومرورا بمعاناته في العشرية السوداء التي تعرض فيها لشتى أنواع الرعب والعنف، وصولا إلى الوقت الراهن وما يعانيه من ظواهر اجتماعية تفتك به، لهذا اتخذنا من الواقعية النّقدية آلية لوصفها ومن ثمّ تحليلها، فقد رأينا أنها الأصلح والأنسب لمثل هذه الدراسات، فهي تدرس الإنسان في إطاره الاجتماعي، فهي تجسّ جسّ الطبيب، فتصف مرضه، ومن ثمّ تعطيه الحلول.

ويرجع اهتمامنا بهذا الموضوع بسبب قلة الخوض فيه، وإلى قدّرته الفعالة على فهم النصوص في ظل البيئة الاجتماعية والتاريخية، ولأننا نميل كثيرا إلى السرد اخترنا رواية "نحيط الوطن لحسيبة سوفي" بوصفها حقلا غنيّا نسّتمد منه مرجعيات حيّة للواقعيّة النقديّة ولقد كانت لهذه الدوافع أسبابا موضوعية أخرى تتمحور في تقديم دراسة تطبيقية حول وجهة نظر الفرد المبدع للمجتمع والتي سمحت لنا بإبراز تمظهرات الواقعية النقدية ورصد أهم قضاياها.

ولأن دراستنا تحمل فصلين نظري وتطبيقي فقد كانت الإشكالية التي طرحناها وحاولنا الإجابة عنها هي:

- ما الواقعيّة وما اتجاهاتها؟
- وما مدى تجلّي الواقعيّة النقديّة في رواية نحيط الوطن؟

وتهدف هذه الدراسة إلى الإحاطة بالمذهب الواقعيّ عامّة وبالواقعيّة النّقديّة خاصة، ومن ثم استثمار مقولاتها في قراءة النّص السردي الذي هو مدونة البحث والوقوف عند تمفصلاته.

وحتى لا نضيع في مفاوز البحث، كان علينا أن نضع خطة تكون بمثابة خارطة توجهنا، لذا فقد جاء البحث مكونا من مقدمة وفصلين وخاتمة يليها ملحق ثم قائمة المصادر والمراجع.

تضمنت المقدمة تمهيدا للموضوع والإشكاليات التي تتعلق بالبحث فالفصل الأول كان موسوما بـ: الواقعية: النشأة والاتجاهات والّذي كان عبارة عن مهاد نظريّ أو بتعبير آخر كان عبارة عن تأثيث نظريّ ابتدأنا فيه الحديث عن المذهب الرومانسي وعن مثالبه التي عجلت بظهور المذهب الواقعيّ، مرورا بالتأصيل للواقعيّة: مفهوما ونشأة واتجاهاتٍ، وصولا إلى الحديث عن تمثّلات الواقعيّة في الرواية الجزائرية بشكل عام، لأن مدوّنة البحث تنتمي إليها.

وأما الفصل الثاني عنوناه بـ: "تجليات الواقعية النقدية في رواية نحيط الوطن"، حيث انضوى تحته كلّ من الرؤية الواقعيّة للرواية التي هي عبارة عن رؤية للعالم، وكذلك وصف الواقع السائد أو الكائن، أي تلك المظاهر السّلبيّة المنتشرة في المجتمع الجزائريّ، وكذا الواقع الممكن، أي الحديث عن الرؤية الاستشرافيّة التي قدمتها الروائيّة من أجل بناء مجتمع جديد تتضاءل فيه هذه الظواهر التي تعصف بعرى المجتمعات.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع وهي:

- رواية نحيط الوطن لحسيبة سوفي.
- المذاهب الأدبية لدى الغرب لعبد الرزاق الأصفر.
- الواقعية في الأدب لعباس خضر.
- الأدب ومذاهبه لمحمد مندور.
- في النقد والأدب والمذاهب الأدبية لحسن الخاقاني.
- في الواقعية والرومانسية سيد حامد النسَّاج.

إنّ طريق إنجاز هذه المذكرة لم يكن خاليا من العراقيل فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات والتي تتمثل في:

عدم وجود دراسات سابقة متعلقة بالموضوع ونظرا لهذا النقص بذلنا مجهودا مكثفا في البحث والتمحيص.

ونقول في الختام: إنّ هذا العمل هو مجرد محاولة بحثية لا تتضمن كل ما يخص الواقعية، كما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف "رافع وليد" على كل التوجيهات التي لم يبخل علينا بها لإتمام هذا العمل.

ونشكر أيضا اللجنة الموقرة على قراءتها لبحثنا هذا.

الفصل الأول: الواقعيّة: النشأة والمفهوم والاتجاهات.

إنّ ظهور الواقعية بصفتها مذهبا أدبيا لم يكن من العدم بل كانت هناك العديد من العوامل التي مهدت لظهوره، ومن بينها المذهب الرومانسي الذي غاص في المثالية وكان شعاره "الأدب تعبير عن الذات"، وبناء على هذا يجب أن نلقي الضوء على ما كان سائدا؛ حتى ندرك الأفكار الجديدة التي أتت بها الواقعية.

1. المذهب الرومانسي: مفهومه ونشأته:

يُعدّ المذهب الرومانسي من المذاهب الأدبية التي جاءت بعد الكلاسيكية وكانت سببا في ظهور الواقعية، ولقد جاء المذهب الرومانسي كرد فعل على المذهب الكلاسيكي في قواعده وأصوله وكذلك فعلت الواقعية.

ركّزت الرومانسية في إبداعاتها على العلاقات الإنسانية والخيال كما أنّها ظهرت في أواخر القرن الثّامن عشر. نجد لفظة الرومانسية لها بُعد تاريخي "فهي مشتقة من كلمة "رومانيوس" "romanius" التي أُطلقت على اللغات الآداب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة"[1]بذلك كان هذا اللفظ عنوانا للمذهب الرومانسي، ونصادف تعريفا آخر لرومانسية الذي هو مشتق "من كلمة رومان "roman" أي رواية"[2]. ويقول أوغست "شليغل" أحد أعمدة الرومانتيكية "لقد اخترنا مصطلح الرومانتيكية لأنه مأخوذ من كلمة رومانس أي من تسمية اللغات الشعبية التي ظهرت عن طريق مزج لهجات لاتينية قديمة"[3] وهنا نجد أن أوغست "شليغل" قد ربط بين أصل الكلمة وتطورها التاريخي.

وأول ظهور للمصطلح الرومانسي كان في ألمانيا، في القرن الثاني عشر إذ ليس له تعريفا محددا فكان" يعني القصص الخيالي، وأحيانا التصوير المثير للانفعال، وتارة ما يتصل بالفروسية

---

[1]– محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة، ص59.

[2]2– حسن الخاقاني، في النقد الأدبي الحديث والمذاهب الأدبية، مكتب الباقرة للطباعة النجف الأشرق، ط1، 2010م، ص123.

[3]– المرجع نفسه، ص123.

والمغامرة والحب وتارة أخرى المنحى العفوي أو الشعبي أو الخروج عن القواعد والمعايير المتعارف عليها أو الأدب المكتوب بلغات محلية غير اللغات القديمة"[1].

ويظهر من خلال التعريف الألماني للرومانسية أنها ترتكز على التصوير الخيالي وكل ماله علاقة بالمغامرات والحب وهذا الأخير غالبا ما يكون عاطفيا أما المغامرات يتم فيها استكشاف عوالم جديدة أو متعلقة بالرومانسية، فنجد الرومانسية تعود إلى هذه الموضوعات مثل الشرف، البطولة، الشجاعة، كما تعطي قيمة كبيرة للفن الشعبي والتعبير العفوي الذي يعتبر روح كل شعب هذا من جهة، أما من جهة أخرى هي الخروج من نطاق المألوف؛ لأنها ترفض القيود والقواعد التي فرضتها الكلاسيكية ويتجلى هذا في استخدامها للغة المحلية بدلا من اللغات القديمة.

ويتضح أيضا أن الأدب الرومانسي بالخصوص غاص أكثر بخياله وعواطفه والانفراد بذاته إذ إنه "هرب من واقعه إلى ضروب من الخيال لا تعني شيئا إلاّ البعد عن الحقائق والتجارب... وأُغرق الأديب الرومانسي في الانفراد بذاته والانطواء على آلام ربما لا يكون لها وجود في واقع حياته، واستعذب هذه الآلام، وأصبحت عنده غرضا مقصودا، ولجأ إلى الطبيعة ليندمج فيها بعيدا عن الإنسان، وليستمد منها معاني وأخيّلة لا صلة لها بالحياة الواقعية"[2]. فالرومانسية ركزت على المشاعر الذاتية والآلام الشخصية، حيث لجأت إلى الطبيعة كملاذ آمن لها بعيدا عن الواقع الاجتماعي، وعليه فإن المحور الرئيسي لها هو الذات والعواطف والتخلي عن واقع الحياة.

2. الواقعيّة كرد فعل على الرومانسية:

إن ظهور هذا المذهب الأخير كان سببا في ظهور مذاهب أخرى ومن بينها المذهب الواقعي، الذي جاء كرد فعل على المذاهب الرومانسية وجاء مخالفا له في كل جوانبه، فدعا إلى

[1]– عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1999، ص55.

[2]– عباس خضر، الواقعية في الأدب، سلسلة الكتب الحديثة، دار الجمهور، د ط، بغداد، 1967، ص5.

العقلانية وتفادى الخيال والعاطفة التي جعلت الأدب في مستوى غير المستوى الذي يجب أن يحظى به.

فإن كان الأدباء قد غرسوا بذور الرومانسية فإنهم قد قاموا كذلك بتجذير بوادر الواقعية "ففي القرن التاسع عشر بينما الرومانسية تملأ الدنيا ضجيجا نرى إلى جوارها ذلك التيار الواقعي القوي الذي يمثله في فرنسا "أونوريه دي بلزاك"، وإذا كانت الرومانسية بحكم طبيعتها قد آثرت الشعر قصائد، فإن الواقعية آثرت النثر بالضرورة فهي لم تنشد شعرا ولم تنظم قصائدا وإنما كتبت قصصا أو مسرحيات نثرية"[1]. وهنا يكمن الاختلاف الجلي بين الرومانسية والواقعية فهذه الأخيرة تهتم بالنثر وتعكس وتنقل الواقع بتفاصيله، أما الأولى كانت تهرب من الواقع الحقيقيّ؛ لتبني بموازاته واقعا مثاليا على أسس خياليّة.

ويتّضح لنا من خلال قراءتنا لأعمال المفكرين والأدباء أن الأدب الواقعي يعارض الأدب الرومانسي، حيث نجد "العرب المحدثين حديثهم عن الأدب الواقعي فَنَفْهم منهم أحيانا أنهم يقصدون به الأدب الذي يقوم على ملاحظة الواقع وتسجيله، لا على صور الخيال وتهاويله. وكأنهم يعارضون بذلك هذا النوع من الأدب وبين الأدب الرومانسي"[2] أي أن الأدب الواقعي يستقي موضوعاته من عمق المجتمع وبحقائق كاملة لا يجسد فيها الخيال.

ولقد شكّلت الواقعية انطلاقا من مبادئها "ثورتها على الرومانسية من حيث تنحية العواطف الشخصية وتضاؤلها أمام العلم، فقد كانت الواقعية ثورة على الانطلاق العاطفي الرومانسي"[3] فنقلت

[1]– محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص92.

[2]– محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص90.

[3]– عباس خضر، الواقعية في الأدب، ص8.

الفن والأدب من العالم الداخلي للذّات الإنسانية إلى العالم الخارجي الأكثر عقلانية، وبتطور العلم أصبح من السهل فهم العالم كما هو دون الهروب منه.

ويستمد المبدع مادته الإبداعية من الواقع المعاش وبواسطة الواقع يصدر الانعكاس عند الكاتب، فالواقعيّة إذن مرآة عاكسة وتصوير للواقع فـ "الواقعية ليست سطحية ولا طبقية وأنها تقبض على الحياة بأكملها كجمرة ساخنة وتعكسها في مرآتها بأمان وصدق"[1] فكل ما تنقله الواقعية من أحداث وصور تأتي به دون تعريف وتزييف، فهي قادرة على الالتقاط والوصول إلى الجوهر بكل ما يحتويه سواءً كان ألما أو فرحا، فهي تعتمد على الصدق والأمانة في تصوير تفاصيل الحياة بكل وضوح و تقدم الواقع المعاش دون الهروب منه أو محاولة تزييفه أو التغيير فيه.

كما ترفض نظرة الرومانسيين وتنادي إلى تحول الأدب إلى أدب واقعي "لأن الواقعيّة في الفنون هي الموضوعية، أي هي أيضا الاتجاه العلمي في النظر والبحث، والواقعيّة في حد ذاتها اتجاه علمي في الأدب لأن الكاتب الواقعي يصف الواقع ولا يستسلم للخيال أو يجعله يغشى الواقع أو يمنع ظهوره"[2]فالخيال هنا يمنع الواقع من الظهور على حقيقته وبذلك الكاتب يستغني عنه لينتج أدبا أكثر دقة، فالواقعية تمنع التزييف وتنبذ الخيال نبذا تاما "أي أنّها تحاول إدراك الوجود على حقيقته ولا تسمح للخيال بتزييفه، وهي تربط الفكرة بالمجتمع الذي نشأ فيه وبالظروف التي أحاطت بها، وتدركها وتفسّرها في ضوء هذا الربط"[3]، إذن الواقعية تعمل على تصوير الواقع وتجتهد في عرضه داخل العمل الأدبي أو الفني.

[1]– صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1980، 14، 15.

[2]– سيد حامد النَّساج، في الرومانسية والواقعية، مكتبة غريب، د ط، شارع كامل صديقي(الغجالة)، ص75.

[3]– سيد حامد النسَّاج، في الرومانسية والواقعيّة، ص76.

ولا ننسى أن الواقعيّة تهتم بالإنسان وما يخوضه من مشاكل ومنعرجات في يومياته، وتوجه أيضا "كل اهتمامها إلى الحياة المعاصرة، الحياة اليومية مهما كانت مملة وحقيرة دون الالتفاف إلى الماضي بتراثه وأساطيره، وقد أخذت الواقعيّة تعني بمعالجة شخصيات عادية أو دون المستوى العادي بدلا من الشخصيات الأرستقراطية أو البرجوازية أو الشاذة"[1]. وباختصار الواقعية تهتم بالحقيقة الموضوعية والحياة الإنسانية دون العودة إلى ما هو أسطوري وتعتمد على شخصيات متنوعة كما تهتم بتحليل الأوضاع السائدة داخل المجتمع.

وأما في السياق العربي بعد ثوران الكلاسيكية على الرومنسية جاء فريق آخر أقام ثورة عليها "متمثلة في سوء اختيار ما يترجم إلى العربية، وفي ما يحاكي نماذجها الغربية المتقهقرة أمام زحف الواقعية في مواطنها، وكانت تلك الثورة أساس التغيرات التي استمرت واتصلت بوقتنا الحاضر"[2]، فالواقعية بهذه الثورة أصبحت قوة مهمة واتسعت رقعتها وبالمقابل انحصرت الرومانسية التي حاكت النماذج الغربية الرومانسية، كما ترجمت أعمال أدبية غربية فقدت بريقها وتأثيرها وهذا ما أدي إلى تأخر الواقعية في الأدب العربي.

3. مفهوم الواقعية:

بعد فشل الحركة الرومانسية في مسايرة تحولات وتغيرات المجتمع والحياة البشرية، وعدم تحليلها للأوضاع السائدة وفهمها لتهميش وعزلة الإنسان أدى إلى ظهور نقيض لها وهو الاتجاه الواقعي أو المدرسة الواقعية، هذه الأخيرة استطاعت أن تجعل من الأدب وسيلة لتعبير والانتقاد، كما بينت الصراع والتناقضات الاجتماعية وقيم المجتمع السائدة.

أ. لغة:

[1]–المرجع نفسه، ص83.

[2]– عباس خضر، الواقعية في الأدب، ص25.

قبل الإشارة إلى مفهوم الواقعيّة لابد من العودة إلى تعريف الواقع لأنه في الأصل يعود تعريف الواقعيّة إلى الواقع "le real" ، وهو الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، والواقع نوعان: حقيقي وفني، والأول ما إذا وصفه الإنسان كان صادقا وأمينا لموافقته ما هو موجود وكائن، إنه بوصفه يأتي بنسخة عن الواقع كالصورة الفوتوغرافية والثاني – وهو المعول عليه في الأدب يقوم على خلق إبداعي لواقع لا يشترط أن يكون حقيقيا بحذافيره"[1] ويتسنى لنا من خلال هذا التعريف أن الأديب يجعل من الواقع أداة أو وسيلة يعتمد عليها في إبداعه، وذلك من خلال إعادة تكوينه بالطريقة التي يراها مناسبة من خلال شخصيات وأحداث مغايرة، فيأتي بواقع محاك للواقع الحقيقي. فالكاتب يستمد عناصره من الواقع لكي يصور ويرسم لنا لوحة فنية من الواقع الذي يراه من زاويته الإبداعية.

ونجد "الواقع" في اللغة له تعريفات عدة، وإذا ما تتبعنا في المعاجم العربية القديمة نجد لها دلالات تتداخل فيما بينها ففي قاموس المحيط نجد لفظة "وقع" والتي تعني "وقع يقع بفتحهما، وُقُوعًا: سَقَطَ والقولُ عليهم وجب، والحق ثبت والإبل تركت والدواب: ربضت والربيع بالأرض حصل ولا يقال سقط، والطير إذا كانت على شجر أو أرض فهن وقوع ووقوع"[2] فالواقع هنا دل على حصول الشيء.

وفي مورد آخر نجد لفظة الواقع" وقع على الشيء ومنه يقع وقْعًا ووقوعًا: سقط، ووقع الشيء من يدي كذلك، وأوقعه غيره ووقعت من كذا أوعن كذا وقْعًا، ووقع المطر بالأرض ولا يقال سقط، هذا قول أهل اللغة، وقد حكاه "سباويه" فقال: سقط المطر مكان كذا ومكان كذا"[3]. أيضا" الواقع الذي ينفر الرحَّى وهُمُ الوقْعَة"[4]، وبعد تعريفنا اللغوي للفظة الواقع لابد من إبراز مفهوم الواقعية:

---

[1]– عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص133.

[2]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج1، دار الحديث، د ط، القاهرة، 2008، ص، 1772.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، د ط، القاهرة، ص4894.

[4]– المرجع نفسه، ص4897.

ب. اصطلاحا:

لقد جاء في المعجم الفلسفي أن "الواقعية بهذا المعنى أيضا، مذهب من يرى أن الوجود الحقيقي مقابل للوجود المعقول، وأنه يتضمن سبب ذلك جانبا من اللّامعقولية، وهي الإحساس بالواقع والتقيد به، وهي بهذا لمعنى مقابلة للفظيّة والتجريديّة، والخيالية"[1] والواقعيّ "هو المنسوب إلى الواقع، ويرادفه الوجودي والحقيقي(Reel)، والفعلي (Actuel)ويقابله الخيالي والوهمي: نقول، الرجل الواقعي أي الرجل الذي يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع ويتخذ إزاءها ما يناسبها من التدابير، دون التأثر بالأوهام أو الأحلام، فالواقعية بوجه عام صفة الواقعي، نقول واقعية التفكير أي مطابقته للواقع"[2]. فالواقعيّة مذهب يصور كل ما يحدث في الواقع الملموس الحقيقيّ وهو عكس الخيال والوهم فيكون التفكير واقعي دون تدخل الأحلام والأوهام.

إضافة إلى التعريف السابق لا ننسى الدلالة اللّغوية لكلمة الواقعية والتي وضعت هكذا لتدل عليه، فهي تعني في مفهومها اللّغوي "تصوير الواقع والتعبير عنه"[3] فهي قديمة قدم الأدب والإنسان فمنذ خَلْقِه بدأ يعبر عن واقعه ووجدانه سواء بالرسم أو الكتابة أو الشعر.

والواقعيّة إذن هي "تصوير الحياة على ما هي عليه، ولكن ليس هذا هو التحديد الدقيق من حيث هي مذهب أدبي لأن الواقعية في الحقيقة تؤكد بعامة جانبا خاصا من الحياة هو أقل الجوانب تمدحا بالنبل الإنساني"[4] وعليه فالواقعية تعبير عن الحياة حقيقةً، فقد ترك الواقعيون كل ما يتعلق بالخيال الذي اعتمد عليه الرومانسيين فهي تصوير الواقع بسلبياته وإيجابيّاته ومرآة عاكسة للمجتمعات فلا يمكن الغوص ومعرفة ما يحدث إلا من خلال الواقعيّة التي تجسد الحقيقة.

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، د ط، بيروت – لبنان، 1982، ص553، 554.

[2]– المرجع نفسه، ص552.

[3]– عباس خضر، الواقعية في الأدب، ص3.

[4]– عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر، د ط، القاهرة، مصر، 2013، ص30.

ومن جهة أخرى يرى بعض الأدباء أن الواقعية "هي تلك التي لا تهتم إلا بمشكلات المجتمع وحياة الشعب، بينما يرى الأخرون أن الواقعية تتسع لكل الآثار الأدبية تقريبا"[1].

ومن خلال كل هذه التعريفات نجد أنّ مفهوم الواقعيّة ينصب في معانيَ محددةٍ وواحدةٍ وهي تصوير الواقع، كما نجدها تضم كل الآثار الأدبية من شعر ورواية وقصة ومسرحيات...إلخ.

4. نشأة الواقعية:

إن القارئ لنشأة الواقعيّة يجد عوامل كثيرة أدت إلى ظهورها وكانت فعالة في بروز هذه المدرسة، فمن الأسباب التي دفعت وساعدت على نشأتها نجد:

تعد المدرسة الرومانسية السبب الرئيس في نشأة الواقعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي جاءت ردا عليها، فالرومنسية" أوغلت في الخيال والأوهام والهواجس والأحلام والانطواء على الذات والفرار من الواقع الاجتماعي منزوية في الأبراج العاجية ومبتعدة عن الواقع المعيش، ومنصرفة تماما عن معالجة شؤون الإنسان وشجونه في صراعه اليومي ضمن مجتمعه المصطخب وظروفه الموضوعية وهكذا جاءت الواقعية رد فعل على الرومانسية واحتجاجا عليها من الناحية الموضوعية"[2]، ونفهم من هذا أنّ الأدباء ضاقوا ذرعا من المبالغة في تقديس البعد الذاتي للإنسان على حساب الواقع الذي يعيش فيه.

وهناك سبب آخر عجّل بظهور الواقعيّة، وهو " التقدم العلمي والإنجازات والكشوفات الهائلة في مجالات العلوم كالبيولوجيا وعلم الطبيعة والوراثة، وفي الدراسات التجريبية والإنسانية والاجتماعية والمنحى الوضعي في الفلسفة"[3]، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدى التطور

---

[1]– الرشيد بو شعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1996، ص7.

[2]– عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص134.

[3]– المرجع نفسه، ص134.

العلمي إلى اكتشاف العديد من الظواهر الطبيعية فالتقدم الذي جرى في تلك الفترة رصد الواقع دون تدخل المشاعر والميولات الشخصية والوجدان وبالتالي لم يَعُد الخيال سيد الملكات.

والسبب الأخير الذي ساعد في بروزها هو "الاهتمام بالطبقات الاجتماعية المتعددة بما فيها الوسطى والفقيرة والمهملة وعدم الاقتصار على شرائح النبلاء و الأرستوقراطيين وكبار البرجوازيين، إن الواقعية اتجاه نحو الإنسان بشكله المشخص لا الكلي كما كانت تفعل الكلاسيكية"[1]، وهنا ينبغي التنويه على مسألة مهمة وهيأنّ الغاية من تصوير الواقع هو محاولة الوقوف عند المشاكل قصد حلّها، فتصوير الحال باطن الحلّ.

قد يكون للواقعية جذور في الأدب العربي القديم، ولكن ما نقرّه أنّها ظهرت كتوجه أدبي مستوٍ على سوقه في الساحة الأدبية الغربيّة، ومن ثم نقلت غراسا واستنبتت في البيئة العربية الحديثة.

أ. الواقعيّة عند الغرب:

بدأت الواقعيّة تنتشر و تحلّق في الساحة الأدبية، وذلك راجع لتأثرها بالفن والفلسفة، فهذه الأخيرة سلكت منحى الواقعية "كالفلسفة الاجتماعية التي دعت إلى العناية بإصلاح المجتمع لإسعاد الفرد، ثم الفلسفة الوضعية أو التجريبية ثم الفلسفة المادية، وأخيرا فلسفة الوجوديين، فقد اتجه الفن نحو الواقعيّة التي تعتمد على التجارب الحسية للوصول إلى حقائق الوجود"[2] فنجد الواقعية ظهرت في الفلسفة وسعت إلى معالجة المجتمع من خلال تجارب حقيقية.

يرجع ظهور مصطلح الواقعيّة زمنيا أول مرة في منتصف القرن التاسع عشر "لذا كان من حقنا أن نجزم بأن الواقعيّة لفظا ومذهبا فنيا ارتبط ارتباطا عضويا بالقرن التاسع عشر، بل و بفلسفته

[1]– المرجع نفسه، ص134.

[2]– سيد حامد النسَّاج، في الواقعية والرومانسية، ص74.

أيضا وبحياته الاجتماعية"[1] ونجد الواقعية تجسدت في الفن "عند ثار "كروبيه" الرسام وأصدقاؤه الكتاب على ما كان معروفا من فن في هذا النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حيث أطلق الرومنتيكيون على رؤية "كروبيه" وأصدقائه الاتهامات مرة بالسطحية، وأخرى بتلويث الفن بهذا الشيء المهين الذي هو "نظرة الواقعية" "[2]، وعليه ظهرت الواقعية من خلال النظرة الواقعية للكتاب في هذا الفن.

وقد تزامنت كذلك البدايات الأولى للواقعية "مع التغيرات التاريخية والسياسية التي سادت في أوروبا منذ مطلع عصر النهضة، ...وأول مظاهر السيادة كانت مع "رابليه" الذي صور في بعض رواياته المجتمع الإقطاعي وأخلاقه وعاداته، كما وجه نقدا لاذعا للذهنية السائدة في القرون الوسطى"[3] فمن خلال التطورات التي جرت في عصر النهضة في مختلف المجالات برزت الواقعية كمدرسة مستقلة وواضحة، كما رفض "رابليه" ونقد الوضعية الفكرية وثقافة تلك العصور التي سيطرت فيها سلطة الكنيسة والتي كانت تسمى بالعصور المظلمة.

وإذا ما أتينا إلى البعد الجغرافي، فقد انبلجت الواقعية بادئ الأمر في فرنسا عن طريق كتاب رومنسيين فرنسيين أمثال "بلزاك" و"هوغو" ولكن النقاد ما لبثوا أن لاحظوا بروز مذهب جديد في الأدب قوامه تصوير العالم الحقيقي تصويرا أمينا، ووصف الحياة المعاصرة بطريقة الملاحظة والتحليل والعرض الموضوعي بمنأى عن الذاتية والانفعال الخاص وشيئا فشيئا تبلور هذا المذهب وانسلخ عن الرومانسية وأصبح له أعلام مثل: "بلزاك" و"ستندال" و"فلوبير" و"ميريميه" و"الأخوان

[1]– ، ليلى عنان، الواقعية في الأدب الفرنسي، دار المعارف، د ط، القاهرة، ص5.

[2]– المرجع نفسه، ص5.

[3]– فايز ترحيني، الدراما ومذاهب الأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط.1، 1988، ص196.

غونكور" و"دوماس الصغير" وغيرهم..."[1]، وبذلك كانت البدايات الأولى لها كانت في فرنسا عند الرومانسيين وبعد ذلك انفردت وأصبحت مذهبا يدرس الحياة اليومية العادية بطريقة دقيقة وموضوعية.

وأما في ألمانيا جاءت ثورة الواقعية "عام 1848 لتقصف بها وبأفكارها وحلولها وأحلامها، ممهدة الطريق للأفكار الاشتراكية التي ثبّتت الواقعية"[2] فبعد فشل الأدباء في إيجاد حلول للواقع المعيش جاءت الواقعية لتحاول انتشال المجتمع من الفقر والبؤس التي ترزح فيه.

وأما إذا ما جئنا إلى الأدب الإنجليزي والأمريكي، فلم تنشأ المدرسة الواقعية فيها "إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بتأثير المدرسة الفرنسية ... أما في روسيا فقد بشر "غوغول" بالواقعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثم جاء "دوستويفسكي" ليؤكد هذا الاتجاه، وكانت الواقعية الروسية أكثر تعمقا في النفس الإنسانية "[3] وبهذه الطريقة نشأ الأدب الواقعي الذي يعد أداة فعالة في تحليل المجتمع ويعد كل من "غوغول" و "دوستويفسكي" من كبار الروائيين الروسيين في الأدب العالمي الذين برزت في كتابتهم الواقعية.

ومن خلال هذه الاقتباسات تبين لنا أن نشأة الواقعية في الغرب كانت نتيجة تأثير وتأثر فأصبحت حركة أدبية وفنية مهمة فتحت المجال لحركات أخرى في الظهور وقد أثرت بشكل كبير في تطور الأدب.

ب. الواقعية عند العرب:

برزّت الواقعية عند العرب منذ الحياة الجاهلية الأولى وكانت عند الشعراء فنجدهم يصورون حياتهم من خلال الأشعار تصويرا دقيقا "فالمتفق عليه أن تلك القصائد تصور الحياة العربية قبل

[1]– عبد الرزاق الأصفر المذاهب الأدبية لدي الغرب، ص136.

[2]– المرجع نفسه، ص136.

[3]– المرجع نفسه، ص137.

الإسلام تصويرا يكاد يكون فتوغرافيا واضحا، لا مجال للشك في صوابّية تصويره للواقع، ففي كل كلمة من كلماتها بل في كل حرف تجد جفاف البادية، ووحوشها، وشعابها ومناخها ... وهذا يحدو بنا إلى القول أن أدبا في العالم القديم لم يكن أكثر واقعية من شعرنا الجاهلي، قبل أن يصبح للواقعية فلسفة أو حتى اسما ومدلولا كما نفهمها اليوم"[1]. فالواقعية عرفت عند العرب منذ القدم وقبل أن تصبح مدرسة، فنجدهم وصفوا مظاهر الحياة العربية بواقعية، فنجدهم غاصوا في كل فرد من أفراد القبيلة وذكر أخلاقهم وفخرهم بحروبهم وانتصاراتهم فالعرب جسدوا الواقعية في أعمالهم الأدبية قبل أن تصبح مذهبا وتوجها فلسفيا، ومع ذلك يجب أن نشير إلى أنّ وصف الشاعر العربي للواقع كان مخالفا بعض الشيء لما جاءت من أجله الواقعية، لتخرج الإنسان من ظلمات البؤس والفقر إلى نور الحياة الكريمة.

و أمّا إذا جئنا إلى العصر الحديث، فقد ظهرت المدرسة الواقعيّة في فترة النهضة العربيّة وقد كان ذلك بأن "برزت حركة الترجمة كوسيلة لنقل التيارات الأدبية والفكرية من لغة إلى لغة، فتعرف العرب على المستجدات الفكرية الحضارية التي عرفها الغرب، وكان منها مبادئ المدرسة الواقعية في الأدب"[2]. فبواسطة الترجمة استطاع أن يتعرض العالم العربي لتأثيرات ثقافة الغرب وأفكارهم ومعرفة مدارسهم الأدبية عن طريق الاستعمار والاحتكاك والبعثات العلمية والترجمة.

كما نجد نشأتها أيضا كانت في "أعقاب الحرب العالمية الثانية بسبب انتشار الثقافة والتعليم ونضج الوعي وظهور الحركات والقوى الثورية التي صارت تحلل الواقع تحليلا موضوعيا مما جعل رؤية الأديب تغدو رؤية واضحة لا ضبابية فيها ولا غموض"[3]. فبعد هذه الحرب شهد العالم زيادة

---

[1]– فايز ترحيبني، الدراما ومذاهب الأدب، ص203–204.

[2]– فايز ترحيبني، الدراما ومذاهب الأدب، ص204.

[3]– فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، عبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر، ط 1، العراق، 1989، ص87.

في نسبة القراءة والتعليم مما جعل مختلف فئات المجتمع أكثر وعيا بالمشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومن خلال كل هذه العوامل من حركات وقوى ثورية أصبح الأديب يتجنب الغموض في تصويره للحياة ويسعى إلى كشف ما يواجهه الناس.

ولعل أول ما أطلقه الأدباء العرب على المذهب الواقعي هو "مذهب الحقائق ولعل أقدم كتابة في المذهب الواقعي، ما كتبه محمد لطفي جمعة في مقدمة لقصة طويلة نشرها سنة 1905 اسمها "واد العموم""[1] وربما سمي بذلك الاسم نسبة إلى الحقائق التي يكتشفها بدل التستر عليها. وبعد نشأة هذا المذهب وجدنا أن الرواية العربية قد خطت خطوات لا بأس بها في هذا المذهب، "فقد وجدت في حياة المدينة أرضا خصبة حافلة بالصور وهذا واضح في روايات نجيب محفوظ...، وقد اجتذب الريف بصفائه وتراكم تقاليده وعاداته وعلاقاته الواضحة"[2] فبعد تأثر الكتاب العرب بالغرب أصبحوا يضارعونهم من حيث الموضوعات، وليس هذا فقط بل نجدهم قد رفضوا كل ما يسئ إلى الإنسان من فقر وظلم واستبداد، إضافة إلى كشفهم جوانب الحياة الاجتماعية.

ولم تقتصر الواقعية على الأدب فقط بل حتى النقاد العرب أيدوا هذا الاتجاه و "الحق أنه لم يحدث في تاريخ الأدب المصري الحديث أن أسهم النقد بجدية وفاعلية واستمرار في الدعوة لاتجاه أدبي وفني بمثل ما ثبت من دعم النقد وتأييده للاتجاه الواقعي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام 1961، فقد شغلت الواقعية فكر النقاد، فشغلوا الصفحات الطوال شرحا وتفسيرا وتحليلا وتفصيلا لاتجاه الواقعي في الأدب عامة"[3]، فالنقد كان له دور فعال ورئيس في دعم الاتجاه الواقعي، فلم يسبق لهم أن دعموا اتجاها من قبل كما فعلوا مع هذا الأخير، فالواقعية كانت موضوع النقاد في

[1]– عباس خضر، الواقعية في الأدب، ص19.

[2]– محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، دار الأمل، ط1، الأردن، 1991، ص78.

[3]– حامد النسَّاج، في الرومانسية والواقعيّة، ص101.

تلك الفترة فبدؤوا كتابة مقالات وتحليل أعمال أدبية، ولقد رأوا فيها تعبيرا صادقا عن الواقع الاجتماعي فلم يقتصروا على نوع أدبي واحد وإنما تجاوزوا ذلك إلى أنواع أخرى كالشعر والمسرح والقصة...، فمن خلال التعمق والتفسير استطاع النقاد المصريين أن يعززوا ويدعموا الواقعية كاتجاه أدبي في مصر.

وفي الأخير نقول إنّ نشأة الواقعية عند العرب كانت بمثابة رد فعل على التغيرات التي جرت بعد الحرب العالمية الثانية في الوطن العربي، فقد ساهمت في كشف كل التناقضات وتعزيز الوعي لدى الأدباء والقراء مما جعلها أداة فعالة في تغير المجتمعات.

لقد قدمت الواقعية نفسها أول مرة على أنّها واقعيّة شاملة انضوى تحتها كل أديب سخّر قلمه لوصف واقع المجتمع، ولكن ما إن استوت على سوقها حتى تفرعت إلى طرائق قدد، وانصرف كل أديب إلى لواء توجه من توجهات الواقعية.

5. اتجاهات الواقعية:

ظهرت الواقعية كتيار فكري وفني وكرد فعل على الرومانسية التي شكلت مبالغات عاطفية بارزة مما أبّعد الأدب عن الصورة الحقيقية للمجتمع والواقع على حد سواء، خاض هذا الاتجاه في عدة مجالات منها الفلسفة والأدب، والفن، والسياسة، مستندا بذلك على الواقع الموضوعي متحيزًا من التزويق والتنميق.

واهتمت الواقعية بنقل حياة الناس العاديين ومشاكلهم اليومية هذا في الأدب، أما في السياسة تبنت مبدأ القوة والمصالح، وفي الفن سعت إلى تمثيل المشاهد دون مثالية أو تحريف، انقسمت الواقعية غلى ثلاثة أقسام وذلك حسب تطورها التاريخي وتأثيرها في مختلف المجالات نذكر أولها: الواقعية الطبيعية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، وصبت اهتمامها على تصوير الإنسان ككائن مع التركيز على العوامل الاجتماعية والبيولوجية في تشكيل تصرفاته وكان من أبرز روادها

إميل زولا. أما الواقعية النقدية برزت مع بلزاك في القرن التاسع عشر كوسيلة لنقد الواقع الاجتماعي والسياسي، اعتمدت على كشف تناقضاته وانتقاد مشاكله كالفقر والظلم والاستغلال.

وأخيرًا الاشتراكيّة التي نشأت في الاتحاد السوفياتي في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين، فقد هدفت لإبراز دور الطبقة العاملة، وكان من أشهر الأعمال فيها رواية "الأم" لمكسيم غوركي.

ملاحظة: لقد آثرنا أن ننأى عن الترتيب الزمنيّ لتوجهات الواقعية، وجعلناها في المقام الأخير، لأنها مدار البحث، وقطب رحاه، وحتى نحقق السلاسة المنهجية في تقديم عناصر البحث، ونسلم كذلك من الارتباك المنهجيّ.

أ. الواقعيّة الطبيعية:

تصنّف الواقعيّة الطبيعيّة على أنّها أحد الاتجاهات الثّلاثة للمذهب الواقعيّ العامّ، وقد "ظهر في أواخر القرن التاسع عشر، واستعمل هذا التعبير بثلاث طرق مختلفة: للأعمال التي تعكس حبا للطبيعة، مردفا للواقعية، للأعمال التي تستفيد من الأساليب والمواد الواقعية لتجسيد شكل فلسفي محدد للطبيعة"[1]فهذا الاتجاه يقتصر على معرفة طبيعة الإنسان بتفاصيل واقعية دقيقة، كما تركز على الحياة العادية وتستخدم تقنيات وأساليب من الواقع تساعدها في إبراز طبيعة المجتمع.

ومن الذين أسهموا في تأسيسه نجد" الأخوان الفرنسيان "أدمون" و"جول غونكور" أول من أسس هذا المذهب وذلك بإصدار قصتهما "جرمين لاسترتوكس" 1865، ومن أعلامه أيضا الكاتب الفرنسي "أميل زولا" 1840-1902 والذي كان له التأثير في المائة عام الأخيرة برواياته ومسرحياته"[2]. فهؤلاء كان لهم دور كبير في بروز هذا المذهب وخاصة "إميل زولا" الذي يعود إليه الفضل في بلورتها.

[1]- نواف ناصر، معجم المصطلحات، الأدبية، دار المعتز، ط 1، عمان، 2011، ص192.

[2]- نواف ناصر، معجم المصطلحات الأدبية، ص193.

ويعد "زولا" من رواد الواقعية الطبيعية الذي كتب طيلة ثلاثين عاما سلسلة كتب "سماها "روغون مكار" صوّر فيها تصويرا دقيقا وصريحا حياة أسرة فرنسية عادية، ينتمي أفرادها إلى عدة أجيال تحكمهم الغرائز وعوامل الوراثة فتصدر منهم رذائلُ وانحرافاتٌ مختلفةٌ تعطي صورة سوداء قاتمة عن الإنسان، قال "زولا" عنها أني سأدرس أسرة ما فأدرس أفرادها فردا فردا من أين جاءوا وإلى أين يسيرون وكيف يؤثر كل منهم على الأخر"[1]وبهذا تمكن "زولا" من تبيان ما يصدر عن الإنسان من تصرفات انطلاقا من دراسته لكل أفراد الأسرة وما يتعلق بها وبحياتها.

والواقعيّة الطبيعية اعتمدت في عرضها للواقع على عدة أدوات، فإذا كانت الواقعية تقوم بالملاحظة المباشرة في تصوير الواقع، فإن الطبيعية "لا تكتفي بالملاحظة بل تستعين بالتجارب والأبحاث العضوية والفسيولوجية لمعرفة حقائق الإنسان العميقة وحقائق الحياة"[2] فهذا يرشدنا إلى دور مهم في الطبيعة ألا وهو معرفة حياة الإنسان ككائن بيولوجي، من خلال فهم وظائف أعضاء جسمه وتركيبته العضوية التي تؤثر على سلوكه وحالته النفسية وهذا ما يكشف الحقائق الخفية في الحياة الإنسانية.

فالواقعيّة الطبيعية لا تكتفي بوصف ما يعاني منه الناس وإنما تبحث عن الأسباب التي دفعت به إلى المعاناة، ومن خلال هذا المذهب تطورت الواقعية فأصحابه يؤمنون بأن غرائز الإنسان هي التي تنتج تصرفاته وبالتالي فإن "تصرفات الإنسان عمل الغرائز الغامض ويتصل بهذا المذهب ظهور علم التحليل النفسي وقد راجت تلك الأبحاث في ألمانيا والنمسا ثم امتدت إلى أوروبا كلها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وكذلك في أمريكا، فكتب فيها "فرويد" "وأدلر وينج" وغيرهم ممن بحثوا عن مركبات وعقد النفس والأحلام وعمل الغرائز، وصحب ذلك أيضا نمو علم

[1]– فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث، عبد الرضا علي، ص76.

[2]– محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ص106.

النفس التجريبي وهو الذي يدرس الإنسان في المعامل ككائن عضوي"[1]، وبناء على ما تقدّم نستنتج أنّ كل هذه الدراسات التي أسهم فيها مختلف علماء النفس أدى إلى تطور الواقعية الطبيعية في الأدب، "ففرويد" يعد من مؤسسي علم النفس التحليلي الذي ركز على تصرفات الإنسان الواعية واللاّواعية، إضافة إلى تلميذه "أدلر" الذي ساعده في اكتشاف بعض النظريات كالأحلام والغرائز والعقد النفسية. فهذه التطورات أدت إلى معرفة دوافع الإنسان وبذلك يستطيع الكتاب تصوير الشخصيات بعمق ودقة وأكثر تعقيدا.

وما يميز المذهب الطبيعي عن غيره من المذاهب الأخرى هو "ذلك الإيمان الراسخ والواضح في العلم، في طرق الملاحظة والتجريب والتوثيق والطبيعة ليست سوى تركيبة العلم الحديثة مطبقة على الأدب"[2]، فالطبيعة هنا تعتمد على العلم في اكتشاف مكنونات الشخصيات وتحليل الأحداث والملاحظات الدقيقة وتجربتها من خلال جمع البيانات وتسجيلها بدقة كما في الاقتباس السابق الذي تحدثنا فيه عن كتب "إميل زولا"، وتهتم أيضا بالتفاصيل التي تجعل من الأدب ذا طابع وثائقي.

ونقول في الختام : أنّ هذا المذهب أو الاتجاه كان عاملا أساسيا في تطور الأدب ووسيلة قوية لنقل سلوكات الفرد من خلال العوامل الاجتماعية والبيئية، كما ساهمت في فهم مكنونات المجتمع وكشف مشكلاته.

ب. الواقعيّة الاشتراكية:

برزت كتيار أدبي وفني في الاتحاد السوفياتي في روسيا والتي ارتبطت "بالفلسفة الماركسية وحركتها الثورية ممثلة بالثورة الشيوعية في روسيا عام 1917 ويؤرخ لبدئها عادة بعام 1934م، وتعد رواية "الأم" من أوّل أعمالها وأشهرها لكن بعض المؤرخين لا يقتنعون بهذا وإنما يرجعون بها إلى

[1]– محمد مندور، في الأدب والنقد، مؤسسة هنداوي، د ط، 1949، ص77–78.

[2]– فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث، ص76.

عقود سابقة لتلك الثورة وفي بلدان أخرى"[1]. ففي عام 1934 تم ترسيخ هذه الأخيرة كأسلوب رسمي للأدب في الاتحاد السوفياتي، كما تعتبر رواية "الأم" لغوركي من أول الأعمال التي جسدت الواقعية الاشتراكية إذ عكست نضال الطبقة الفقيرة والعاملة في المجتمع. لكن تباينت رؤى المؤرخين الذين نفوا بداية هذا الاتجاه مع الثورة الروسية وليس هذا فقط، بل هناك أعمال أدبية سابقة وقديمة تناولت هكذا قضايا وموضوعات حول الصراع الطبقي والعدالة الاجتماعية.

وتخوض الواقعيّة الاشتراكية في تصوير المجتمع وتسلّط ضوأها على الطبقة البسيطة والمهمّشة، "تسعى الواقعية الاشتراكية إلى جعل الأدب من أدوات بناء المجتمع الاشتراكي المنشود الذي بشر به الشيوعيون مستندة إلى طبقة واحدة هي طبقة العمال والفلاحين"[2]وبالرغم من تصورها للواقع إلا أنها لم تكتف بهذا وحسب وإنما تمضي لتغييره بتغيير المجتمع ومبادئه.

وإذا ما جئنا إلى المجال الأسبق الذي ظهرت فيه الواقعية، فقد "نشأت الواقعية الاشتراكية في فن الأدب قبل غيره من الفنون الأخرى، كالرسم والنحت والموسيقى والسينما وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى تلك العلاقة الوثيقة بين الأدب والفكر والفلسفة"[3]وهنا يتضح أن الأدب هو أداة لنقل النظريات الفلسفية من خلال التعبير عنها، وبالتالي يعتبر وسيلة لتصوير قضايا المجتمع وبهذا يكون الرائد في تبني الواقعية الاشتراكية نظرا لعلاقته بالفكر والفلسفة، بينما الفنون الأخرى أسهمت في نشوئه.

---

[1]– حسن الخاقاني، في النقد الأدبي الحديث والمذاهب الأدبية، مكتب الباقر للطباعة، ط 1، النجف الأشرف، 2010، ص137.

[2]– حسن الخاقاني، في النقد: الأدبي الحديث والمذاهب الأدبية، ص137.

[3]– الرشيد بو شعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، 1996، ص87.

ويرى الاشتراكيون أن الواقعية الاشتراكية هي امتداد للأدب الروسي القديم، إذ ربطوا ذلك بتأخر ظهور الأدباء والمفكرين الاشتراكيين "فبعض النقاد الاشتراكيين يعتقدون أن الواقعية الاشتراكية نشأت بشكل طبيعي لا قسر فيه اطلاقا، ويعدونها امتدادا للأدب الروسي القديم ذي الجذور المتغلغلة في التربة الروحية والاجتماعية الروسية ويستدل "غروموف" على النشأة الطبيعية للواقعية الاشتراكية بتأخر ظهور المثقفين والأدباء الاشتراكيين عن ظهور الآراء الشيوعية"[1].

وبهذا يطرح هؤلاء النقاد نظرية عنوانها: أن الاشتراكية نتجت بشكل طبيعي بفعل تطور الأدب الروسي القديم وليست إملاء سياسيّا فرضته السلطة أو الإيديولوجيا الشيوعية، بينما "غروموف" يوضح أن الأدب الاشتراكي جاء بدافع التحولات الاجتماعية والفكرية التي سادت في الاتحاد السوفييتي منذ القرن التاسع عشر.

ومن روادها نجد "بلزاك" بحيث "نجد أن ماركس اعتبر بلزاك أعظم ممثل للواقعية، لأنه صور المجتمع الإنساني تصويرا مدهشا رغم أن عواطفه كانت مع طبقة النبلاء، لكن نقده كان لاذعًا ومريرًا لتلك الطبقة التي يعطف عليها"[2]، ويعكس هذا القول تناقضا في أعمال بلزاك الذي بالرغم من تعاطفه مع طبقة النبلاء والأرستقراطية إلا أنّه لم يتوان عن كشف فسادهم وانحطاطهم، وهذا ما جعل أعماله ذات قيمة نقدية مبهرة، الذي دفع بماركس أن ينظر إليه على أنه كاتب واقعي عظيم.

وأما "أنجلز" "فيرى أن الفكرة المادية التاريخية تمثلت في الإنتاج أو في إعادة الإنتاج في الحياة الواقعية، وهذا يعني أن الواقعية قد تثبت رغما عن أراء المؤلف نفسه"[3]. فعلى حسب "فريدريك

---

[1]- المرجع نفسه، ص88.

[2]- فايز ترحيبني الدراما ومذاهب الأدب،ص201.

[3]- المرجع نفسه، ص201.

أنجلز" أن الواقع هو من يثبت نفسه دون محاولة أفراد أو الكُتاب تفسيره بأفكار تتماشى و رؤياهم الخاصة.

وأما "لينين" "فيرى أن الفن يعكس الحقيقة الاجتماعية، فالفن للشعب ويجب أن يكون حتّى يفهمه الشعب"[1] يُعبر هذا القول عن وجهة نظر "فلاديمير لينين" الذي يرى أن الفن باعتباره موجه للشعب يجب أن يكون واضحا وبسيطا وبعيدا عن التكلف والغموض بحيث يتمكن عامة الناس من فهمه ولكي يسهل عليهم ترك انطباعاتهم.

وفي النهاية شهدت الاشتراكية انهيارا شاملاً كتيار أدبي، حيث "انتهت الواقعية الاشتراكية إلى كونها أدبا فارغا يمثل مجافاة للواقع، فصورة البطل صورة مثالية وأحلام الاشتراكية غدت وهما كاذبا وأصبح النضال فرضا خارجيا يفرضه الحزب القائد للثورة على أفراده وأدبهم وصودرت حرية الأفراد وحوصر المجتمع، ومع نهاية عقد الثمانينات من القرن العشرين بدأ عقد الدولة السوفياتية التي بناها الشيوعيون في روسيا وما جاورها بالانخراط وتّتبعه دول المعسكر الاشتراكي في أوروبا الشرقية لتتنفس الملايين المقهورة نسيم الحرية ويتبخر معه النضال والالتزام مع سراب الوهم الخادع"[2].

وبهذا تكون قد انكشفت الوعود الكاذبة التي روجت لها الاشتراكية واتضح أنها لم تكن سوى وهماً، فبدأت بالانهيار وتفكك الاتحاد السوفياتي ومعسكراته وهنا وجدت الشعوب التي عاشت القمع والقهر طريقها للحرية.

ج. الواقعيّة النقدية:

[1]– المرجع نفسه، ص201.

[2]– فايز ترحيبني، الدراما ومذاهب الأدب، ص201.

إن ظهور الواقعية الاشتراكية والطبيعية أثر في ظهور اتجاه فكري وأدبي ف "في أدب القرن التاسع عشر وهذا أمر متفق عليه، تدخل الواقعية طور النضج والازدهار وتترسخ كواقعية نقدية"[1]. وعليه تكون مرحلة القرن التاسع عشر منارًا مشعًا للواقعية النقدية وترسيخا لها "كاتجاه أدبي تدخل كل سيرورة تشكل الواقعية كمنهج فني، لكن سلفا الأقرب تاريخيا هو الرومانتيكية التي لعبت دورا هائلاً في التحضير لعصر جديد لتطور الواقعية كمنهج فني"[2] أي أن الواقعية النقدية نشأت كاتجاه أدبي بنشوء الواقعية كمنهج فني، بحيث نتجت عبر مراحل متدرجة مهدت لها الرومانسية عصرها إذ لعبت دورًا كبيرًا في تهيئة الأرضية للواقعية النقدية.

عُرّفت الواقعية النقدية على أنها "ترتكز أساسا على نقد الواقع من خلال كشف عيوبه ورفض واقع الخطأ فيه، فلأدب من المنظور الواقعي النقدي ليس نقلا حرفيا للواقع، ولا تسجيلا فوتوغرافيا له، وإنما هو إعادة خلق الواقع من خلال فرزه وانتقاء عناصره"[3]. يعبر القول عن جوهر الواقعية النقدية التي تعيد تشكيل الواقع عن طريق الوعي النقدي وانتقاد المشكلات الأساسية في المجتمع لتحليلها وكشف عيوبها من أجل التغيير منها وتطويرها.

والواقعية النقدية "تهدف إلى تعرية الواقع والمجتمع وفضح تناقضاتهما"[4]، ومعنى هذا أنّها تقوم بإثارة الوعي الجماعي وتسعى إلى كشف الخفايا و تحقيق التغيير في المجتمع.

وقد تميز الفن الواقعي النقدي عن غيره بخلق النماذج الواقعية، لا سيما أن "كتابها استطاعوا تجسيد العلاقات الاجتماعية والسياسية والفكرية، وهذا ما عجزت عنه الاتجاهات الواقعية

---

[1]– س. بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب، تر: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص46.

[2]– المرجع نفسه، ص46.

[3]– بوجمعة وعلي، الواقعية النقدية في القصة والرواية المغربية محمد زفزاف أنموذجا، قضايا الأدب المغاربي، جامعة البويرة، مج4، ع1، 2019، ص72.

[4]– المرجع نفسه، ص73.

السابقة التي اكتفت بتتبع طابع المجتمعات والشخصيات"[1] إن ما جعل من الواقعية النقدية مختلفا عن سابقاتها من الواقعية هو طريقة تسليطها الضوء على لُب القضايا واستخلاصها للعلاقات التي تجمع المجتمع سواء اجتماعية، سياسية، أو فكرية.

وتطور هذا النوع من الواقعية مع "بلزاك"، لكنه لم يعثر على موطنه الثابت إلا مع "شان فوري" الذي شرع في وضع مبادئ للواقعية النقدية نافيًا بذلك جميع أشكال الأدب المعاصر "منها أن على الروائي أن يدرس الأشخاص (الحقيقي الطبيعي)، حسب تعبير "بلزاك"، وأن يسألهم ويمحص أجوبتهم ويستجوب جيرانهم، ثم يُدوّن ملاحظاته، وإن كان هذا العمل قريبا من عمل العالم، إلاَّ أنه يُجبر الروائي أن لا يكتب شيئا ذاتيا خاصا به، وأن يكون شجاعا في تصوير آفات المجتمع دون أن تخيفه الأصابع المتهمة له بالهدم، ما دام يصور الواقع تصويرًا حيا ناقدا"[2] فتبنت الواقعية النقدية دراسة المجتمع بكل جوانبه أي أن هذا الأدب هو أدب الشعب، ليتجرد من الذاتية إذ إنّه أدب موضوعي بامتياز يمضي به الروائي لتصوير واقع معاش ونقله بكل عيوبه ومساوئه دون أن يتقيد بأي قيود تعيقه في ذلك.

وتهدف الواقعيّة النقدية لتعرية الواقع والمجتمع معًا مع فضح تناقضاتها، لهذا نجد كل أمراض المجتمع من خلال نوع أبي كهذا، لذلك "شكلت الواقعية النقدية عصرا جديدا في تطور الأدب العالمي لأنها عكست في تصويرها الصادق، على ضوء المثل الإنسانية الديمقراطية عصرا كاملا مهما من التاريخ العالمي، عصر الثورات البرجوازية وصعود الرأسمالية، ثم بداية انحطاطها ونضال

[1]– فايز ترحيبني، الدراما ومذاهب الأدب، 197.

[2]– المرجع نفسه، ص198.

الطبقة العاملة من أجل انتصار الاشتراكية، وهذا ما حدد المضمون الحياتي الجديد لأدب الواقعية النقدية الذي لاقى تجسيدا فنيا إلى هذا الحد أو ذاك في إبداعات معظم كتاب تلك المرحلة"[1].

وقد حاولت الواقعية النقدية أن تضع حدا للثورات البرجوازية التي طغت في ذاك العصر وبروز كفاح الطبقة العاملة من أجل نسيم الحرية وتبخر الطبقيات التي جعلت من المجتمع مريضا بالطمع والاستغلال والاستبداد. " ألقى الضوء على هذه العملية وبشكل واسع "بالزاك" الذي صوّر رغم تعاطفه مع الأرستقراطية النبيلة، الحتمية التاريخية لسقوطها وهلاكها. انعكست هذه العملية كذلك، بمختلف جوانبها وبشكل غني في مؤلفات الكتاب الواقعيين الروس من "بوشكين" إلى "بونين" و"ألكسي تولستوي" "[2]. نظرا لتغلغل بما يسمى بالطبقة ونظام الطبقات ومع اقتراب زوال الطبقة العاملة جسد الكتاب الواقعيون صراع طبقة النبلاء والإقطاعيين في القرن التاسع عشر وجعل كل مؤلفاتهم تصب في حيز الواقعية النقدية منهم "بلزاك" على الرغم من تعاطفه مع طبقة النبلاء إلا أنه أكد على ضرورة سقوطها وهلاكها.

ويذهب في ذلك إلى جانب "بلزاك" و"شان فلوري"، "فولبير" الّذي "أصر على شعبية الرواية الواقعية وطبيعتها، ورفض أن تمجد أيّ قضية سياسية أو اجتماعية أو دينية. وأكثر من ذلك رفض أن تتضمن واقعيته أيّة قضية أخلاقية لأن غايتها نقل وقائع المجتمع وصور عامة الناس كما هي، والروائي الذي يسعى إلى الكمال الفني في نظره عليه أن يبعد أفكاره وانفعالاته وتأثيراته عن العمل الذي ينقل صورته"[3]. وما يتجلى لنا في رأي "فولبير" أن الأدب الواقعي النقدي يكون خالصا من أيّة

[1]– س:بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب، تر: شوكت يوسف، ص120، 121.

[2]– المرجع نفسه، ص121.

[3]– فايز ترحيبني الدراما ومذاهب الأدب، ص197.

قضية سياسية أو اجتماعية أو دينية، فهو يمجد الواقع والصورة العامة للناس وهذا ما يكسب الروائي الكمال الفني بعيدا عن انفعالاته وآرائه.

ونشير في الأخير –بعد استعراضنا لمسار الواقعيّة النقديّة– إلى أنّها "تخطت مرحلتها البدائية أو السكونية ووصلت إلى ما يسمى بالواقعية النقدية و الواقعية الطبيعية، بقيت أبعادها الفكرية عاجزة عن أن تتجسد في بناء فلسفي متكامل، وقاصرة عن أن تكون رؤيا فكرية إيجابية متماسكة، ورؤيا منهجية تلم بالواقع الاجتماعي إلمامًا شموليًا"[1]. على الرغم من تطور الواقعية انطلاقا من الشكل البدائي للواقعية النقدية والطبيعية، إلا أنها لم تتجاوز حدود الوصف بطريقة فلسفية متماسكة فهي تنقل الواقع بغرض نقده وتغييره لكن ليس بالشكل الجذري مع إعطاء حلول إيجابية له.

وإضافة على ما سبق تظهر الفروقات المتباينة بين هذه التيارات، فإذا كانت الواقعية الطبيعية تبحث في المشكلات التي تؤرق الإنسان وطبيعة تكوينه الفيزيولوجي وتجعل من الإنسان عبدًا لغرائزه البيولوجية، فإن الواقعية النقدية تتميز بالنزعة الاجتماعية في تشخيص المشكلات التي آلت إليها المجتمعات دون تقديم حلول معينة فتكون الاشتراكية قد خاضت عدة صراعات لإنهاء التناقضات الطبقية والمشكلات الإنسانية.

6. الواقعية في الرواية الجزائرية:

تعد الرواية الجزائية أكثر تشكيلا للواقعية بعد فترة السبعينات فنجدها مرآة عاكسة لمأساة الشعب والصراعات الاجتماعية والنفسية، كما أسهمت في تشكيل الوعي الفردي بتعمقها في تصوير المجتمع الجزائري، ولعل أول ما يمكن التحدث عنه في الرواية الجزائرية هي الظروف التي مرت بها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى من أوضاع مزرية وهذا ما ساعد في "ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من

[1]– المرجع نفسه، ص200.

تناقضات وعزلة وحرمان، وما يكثر فيه من دعاوي الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء في نفس الوقت الذي كان فيه الشعب الجزائري يعاني من الشقاء المزمن والقيود الثقيلة"[1]، ومن خلال هذا الاقتباس تبين لنا أن معظم الأدباء وجدوا في الاتجاه الواقعي ملاذهم وفتح لهم مجالا واسعًا للتعبير عن الواقع المرير، كما استطاعوا الكتاب أن يبينوا مدى الوحشية التي كان يستعملها الاستعمار الفرنسي لكي يخضع له الجزائريين رغم القيود التي كانت تحيط بهم.

وبهذا تكون الواقعيّة في الرّواية الجزائرية من إنتاج الظّروف السياسية والاجتماعية والتاريخية التي طرأت على البلاد، ما جعل منها محل تطلعات الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار أو بعدها، وبالرغم من تعدد الأساليب واختلاف أشكال الرواية إلا أنها "ستظل تحت مظلة الواقعية الواسعة فإن الظروف التي سادت في الجزائر أنتجت كوكبة من المبدعين عبروا عن واقعهم بإنتاجهم للتيار الواقعي الذي جاء متماشيا ورغباتهم"[2]، وعليه تمكن الاتجاه الواقعي من إثبات وجوده إثر مجهودات الكتاب الذين أنتجوا من ذواتهم إبداعًا جديدًا أضاف للرواية الجزائرية منحى واقعيًا بحت يسمح لهم بتجسيد أوضاعهم وواقعهم المعاش آنذاك.

يجد القارئ للرّواية الجزائرية الواقعيّة أبطالا حقيقين من خلالهم ينطلق الكتاب في سرد تفاصيل المشكلات التي يخوضونها، فنجده يصور كل ما يجري في حياة ذلك البطل "ومن هنا لا نعجب حين نرى أولئك الأبطال الذين يعالج الكاتب من خلالهم تلك المشكلات يصورون الحياة الاجتماعية ببؤسها وحاجتها وشعورها بالمرارة وثورة على الظلم والعُسف، أنهم أبطال واقعيون يعيشون في مستوى الشعب المادي إنهم يشعرون بشعوره ويتفاعلون معه سلبا وإيجابا، ليسوا خياليين أو مثاليين

[1]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط 5، الجزائر، 2007م، ص56.

[2]– بدرية سفير، الرواية الجزائرية تحت مظلة الواقعية، مجلة الآداب واللغات، ع 1، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2023م، ص06.

كما أنهم ليسوا انهزاميين أو رجعيين، إنهم أفراد تتمثل فيهم طبائع البيئة بخيرها وشرها بعقدها وتعاونها، بفشلها وانتصاراتها، بارتباطها بالماضي وتطلعها إلى المستقبل هذا هو البطل كما فهمته الرواية الجزائرية"[1]، فالكاتب ركز في كتابه على البطل كونه مركز الرواية فنجده شخصًا عاديًا يجسد في الروائي الواقع بتناقضاته المختلفة وتحدياته اليومية التي يواجهها، وعادة ما نرى الأبطال يثورون على الظلم والتعسف والاحتقار الذي يعيشونه، كما لا نجدهم من الطبقة الفنية وإنما نجدهم من الشعب كالفقراء والثوار... إلخ.

لم تركز الرواية الجزائرية على الأوضاع السياسية والتاريخية للبلاد فقط بل تعدت ذلك إلى مواضيع اجتماعية ك" الهجرة والاغتراب... فإن الرواية الجزائرية لها بدون شك خصوصيتها في التطرق لهذا الموضوع ومعالجته وذلك بسبب أن ما يربط الإنسان الجزائري بالغرب ليس السياحة أو الدراسة أو العلاقة التجارية على الرغم من وجود هذه الأصول جميعا ولكن ما يربط هذا الإنسان بالغرب هي علاقة حضارية معقدة تتلخص في وجود إشكالية المستعمِر والمستَعمَر ومن ثم جاءت خصوصية تطرق الإنسان الجزائري والكاتب الجزائري إلى الغرب"[2]، ويتبين لنا من هذا أن الروية الواقعية ارتبطت موضوعاتها بالمستعمر الفرنسي فهذا الأخير هو سبب تطرق الرواية الجزائرية لقضايا الغربة والهجرة ، فلإنسان الجزائري ارتباطه بالغرب لم يكن بسبب علاقات دولية وإنما بسبب إشكالية المستعمِر، فالرواية سواء كانت بالعربية أو الفرنسية نجدها تتحدث عن آثار الاحتلال الفرنسي.

إضافة إلى قضية الهجرة والاغتراب لا ننسى قضية الثورة التي كانت "نقطة تحول أساسية في مسار التجربة الروائية الجزائرية حيث أصبح الحديث عن الثورة والنهل منها اعتبر ضروريا في الكتابة الروائية سواء بسرد بطولاتها أم بتشكيلها، وحتى إن شكلت توجهات تنتقد منطقها ونتائجها

[1]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص57.

[2]– مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصّبة للنشر، د ط، الجزائر، ص153.

وقطعت في انجازات بعض القائمين بها فإنها تجسد صورة البطل النموذجي وصناعة الوعي على الرغم من التعامل مع الثورة وُصف بالسطحية أحيانا والمثالية والاحتفالية التي لا تتجاوز حدود الانعكاس ... لذلك فهم لم يقدموا الثورة كحدث انفعالي بنتائج فعل الثورة، أي أن التعامل مع الثورة لم يكن تعاملا تاريخيا كما لم يكن هناك استقلال إبداعي للثورة بإعادة إنتاج أحداث ومواقف وبطولات تستمد مرجعيّاتها من التاريخ الثوري"[1].

وعليه تكون الثورة قد أخذت حيزها في الرواية الجزائرية وكانت لها موضوعات عدة تخوض فيها، من أجل الإعلاء من مكانة الثورة في تاريخ الجزائر خاصة والعالم عامة، فهي تمثل مجد وفخر الشعب الجزائري ببطولاتها وشجاعة ثوارها وكانت عنوانا للمناضلة والدفاع عن الهوية الوطنية والمحافظة على البلاد، لكن على الرغم من هذا فإن الروائيين لم يتعاموا معها تعاملا تاريخيا يجسدها كحدث حي أخذ حقه من التعبير والتصوير.

إنّ الظروف التي اكتسحت تلك الفترة فرضت على الروائيين كتابة واقعيّة بحتة دون اللجوء إلى مواضيع أخرى، فالرواية الجزائرية استطاعت أن تكتب التاريخ بتعبيرها وأسلوبها وإبداعها في تصوير الأحداث، فهي تعتبر ذاكرة التاريخ أي أن الواقعية كانت ضرورة فرضها الواقع الاستعماري والتاريخي لعكس أمال وآلام الشعب الذي كافح من أجل الحرية.

ونشـــيّر في الأخير أنّ الواقعيّـة في الإبـداع الروائيّ الجزائريّ لم تتوقف عنـد الزمن الاستعماريّ، بل جاوزت إلى ما بعد الاستعمار بداية من الأحداث الدّامية التي امتدت لعشر حجج كاملة، وصولا إلى الوقت الراهن بالحديث عن ظواهر اجتماعية كادت أن تحلّ عرى المجتمع الجزائري من هجرة ومخدّرات وفساد وهذا ما نجده في المدونة المراد دراستها.

[1]– آمنة بلعلى، المتخيل في الرّواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل، ط2، تيزي وزو، 2011م، ص53–62.

الفصل الثاني: الواقعية النقدية

وتمثّلاتها في رواية "نحيط الوطن".

ولقد اعتمدنا في الفصل التطبيقيّ على وصف الظواهر الاجتماعيّة السَّلبية المتفشية في المجتمع، ومن ثمّ نتبعها بالتحليل انطلاقا من الرؤية الواقعيّة للروائيّة مرورا بالواقع السائد وصولا للواقع الممكن معتمدين على مفاهيم بعض المصطلحات التي اقترضناها أو استعرناها من المنهج البنيويّ التكويني الذي في حقيقته خرج من عباءة المدرسة الواقعيّة.

1. الرؤية الواقعيّة للأديب :

لقد جعلت الواقعيّة النّقديّة العالم مادّة للتصوير، ولا يمكنه ذلك إلا إذا امتلك زاوية يرى منها هذا العالم، فلا يستطيع المبدع أن يكتب إلا بالانطلاق من رؤية واقعيّة من وجهة نظر، وهنا لن ينظر المبدع على أنّه فرد بل على أنّه طبقة من المجتمع.

ونحن نشرع في إعطاء مفهوم للرؤية الواقعيّة للأديب ألفينا أنّها تتشابه إلى حدّ بعيد مع مصطلح رؤية العالم الّتي يعرفها "غولدمان" على أنها "الكيفية التي ينظر فيها إلى واقع معين، أو النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق النتاج، وليس المقصود بها نوايا المؤلف، بل الدلالة الموضوعية التي يكتسبها النتاج، بمعزل عن رغبات المبدع، وأحيانا ضدها. وهذه الرؤيا ليست واقعة فردية بل هي واقعة اجتماعية تنتمي إلى طبقة اجتماعية أو مجموعة اجتماعية فهي- بالتالي- وجهة نظر متناسقة لمجموعة من الأفراد"[1]، يعني هذا القول أن رؤية العالم هي نسق فكري لا يقصد به نية المؤلف بل هو طريقة لفهم الواقع. فهذه الرؤية تعد وجهة نظر أفراد ينتمون إلى فئة معينة فبتالي "غولدمان" يهتم بما يقوله العمل الأدبي وما يحمله من دلالات، كما يمكن أن تتناقض هذه الأخيرة

[1]- محمد عزام، تجليات الخطاب الروائي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2003م، ص227،228.

مع ما يريده المؤلف فهي مجموعة من التصورات تخص جماعة اجتماعية أو ثقافية، فالعمل الأدبي عنده يحمل رؤية للعالم ووعي جماعي.

تبدأ الساردة بقص روايتها بحزن وألم على الذين ضنوا أن الحياة ستمدهم فرصا لعيش أفضل، فتقوم بسرد وقائع جماعة من المثقفين فتقول:" كعصفورة قص الوطن جناحيها، أجلس وحيدة على درج الانتظار، أمام بيتي الذي أتشاركه مع ثلاثة أصدقاء أوفياء، أنجبهم الماضي دفعة واحدة فعاقبتهم الحياة بالخلود، نناضل معا ونتراقص على حبل الجنون والأوهام"[1]. تعبر هنا بنبرة حزينة عن هذه الفئة الاجتماعية التي وقت ضحية للتهميش والفساد.

وتبرز الرؤية الواقعيّة في هذه الرواية من خلال الشخصيات الثلاثة: قاسم، صهيب وياسر الذين أحبوا وطنهم وتاريخهم فكان كلما اقتربت الذكرى السنوية لاستقلال الجزائر يشرع صهيب في سرد تفاصيل هذه السنة فيقول:" سأشرح لكما... لقد كان الاحتلال الفرنسي للجزائر في الخامس من يوليو 1830 حيث جاءت فرنسا مصممة على أن تجعل الجزائر أرضا فرنسية... صادفت شعبا شجاعا يقدس الحرية ويمجد الكبرياء... يطرق الشعب الجزائري أعظم ثورة في التاريخ الحديث، جمع فيها بين العمل المسلح والسياسي فكانت النتيجة انهزام فرنسا وخروجها مهانة من وطننا الحبيب"[2]. لقد كان صهيب يحفظ تاريخ بلاده عن ظهر قلب فكان يقول:" إنه تاريخ حبيبتي بالطبع سأحفظه، وأنتما أيضا يجب أن تحفظاه إنه تاريخ وطنكما"[3]، وهنا يظهر حب صهيب للجزائر وتعلقه الشديد بها، حيث كان يفتخر بجده الذي ناضل من أجل الجزائر والذي زرع فيه إدمان حب الوطن في قول الساردة:" لست أدري هل أكتسب ذلك الحب مع الوقت أو ورثه من جده الشهيد قدور عبد الرزاق،

[1]– حسيبة سوفي، نحيط الوطن، دار المعلم، ط1، الجزائر، 2024م، ص7.

[2]– الرّواية، ص13.

[3]– الرّواية، 14.

أحد أكبر شهداء المنطقة الذي يحمل الشارع الذي يقيمون به اسمه... صهيب كان يفتخر بذلك بجده البطل الذي مات كي تحيا الجزائر"[1].

تنظر الروائية إلى العالم نظرة ازدراء فـ" في زمن النية والحرمة، حين كانت النساء تتزين بحيائهن والرجال برجولتهم، لم يعلموا أنه سيأتي الغرب يومًا ويقد لأجيال القادة الدياثة على طبق من نحاس يطلقون عليه اسم التحضر"[2]، وهنا تنتقد الأوضاع التي آلت إليها المجتمعات العربية بسبب الغرب الذي أبعده عن مبادئهم ودينهم، وفي موضع آخر تتحدث الساردة بأنا باكية عن أحلامها التي لن تستطيع الوصول إليها في ظل الواقع المُرّ الذي تعيشه فتقول:" كبرت وأصبحت الحياة تعنينا، عادت لي أعباء لا يتسع لها القلب، اندفعت بقوة نحو أحلامي التي خافت مني وهربت، لم أعثر عليها لليوم والنشيد لم يزدني سوى وجعا"[3]. يتبين هنا مدى الخذلان الذي تلقته وجعلها تفقد أحلامه.

وتوالى سرد الروائية لتاريخ الجزائر المجيد والذي يعتبر نظرة أمل وتفاؤل جراء تخليدها للذكريات التاريخية وذكرها لبعض أعلام الثورة "كمصالي الحاج" " ذلك الأب الذي تنكر له أبناؤه، هناك في ملعب بولوغين بالعاصمة حيث اجتمع الآلاف للخضوع لفرنسا... جاءهم أيهم بلحية بيضاء عاقدًا حاجبيه في وجه الطغاة والجبناء وشدَّ بقبضته على حفنة من تراب هذا الوطن الطاهر، ليقول له... هذه الأرض ليست للبيع ولا للرهن... لسانه الذي لم يتلعثم يومًا وهو يلقي خطاباته في وجه فرنسا، ...انعقد يوم اتهمه بني جلدته بالخيانة، ولم ينتبهوا لبشاعة الجرم الذي ارتكبوه، إلا بعد فوات الأوان، فأخذوا يحرقون صفحات الجهاد والثورة ليخفوا دناءة أفعالهم ويلفقون الشهادة المزورة عن نضاله ليمنعوا التاريخ من أن يكتب عنه متناسيين أن "مصالي الحاج" هو التاريخ ذاته ... مات

[1]– الرّواية، ص16.
[2]– الرّواية، ص17.
[3]– الرّواية، ص18.

مصالي الحاج إذًا وارتدت تلمسان حدادها، فأبكيه يا مدينة المغارات بكل ما فيك، لتنتحبه نساءك ولتظلم مغاراتك وينكسر زليجك ... ابك ابنك المغدور به ومناضلك المحدود عليه، وانتحبي يا جزائر فزعيمك ما عاد موجودًا، وبعده أنت عقيمة عن إنجاب الزعماء"[1] يمثل هذا الاقتباس رؤية نقدية تفضح الخيانة والظلم والغدر الذي تعرض لهم مصالي الحاج، فتقف الساردة هنا وقفة حزن لهذا البطل. كما ذكرت تواريخ كثيرة في روايتها لكننا اكتفينا بهذا الاقتباس كمثال عن الطريقة التي رأت بها الروائية تاريخ الجزائر في روايتها.

ويظهر كذلك حب الدين والهوية من خلال الشخصيات الثلاثة في قولهم:" نحن مسلمين ولا لنا من اتخاذ الشريعة كمصدر للقضاء والسياسة. والإسلام بإمكانه أن يجعلنا دولة متطورة، والإسلام هو الذي نصرنا عن الفرس والروم، من وضع علم الجبر كان مسلما ومن وضع علم البصريات كان مسلما أيضا، كذلك من قدم أسس الجراحة وأجرى أول عملية قيصرية كان مسلما، الطيران، الجامعة، الخرائط وحتى فرشات الأسنان كلها من صنع المسلمين"[2] أخذ هؤلاء الثلاثة الإسلام وأركانه وتعاليمه منهجا لهم في كل قضاياهم وافتخارهم بالعلماء المسلمين.

وتتجلى لنا في قول آخر رؤية نقدية للمجتمع بحيث أصبح مسلمو اليوم يقومون بشعائر الدين على أنها فرض لا أكثر و "مسلمو اليوم ليسوا هم مسلمي ذلك الوقت حينها كان الإسلام بحقه، كان المسلمون يقيمون صلاتهم؛ لأنها راحة نفسية وبدنية، واليوم يقيمونها لأنها فرض، يصومون ليشعروا بجوع الفقراء، اليوم يصومون لأن الصوم فرض، كانوا يأدون الزكاة ليعينوا المساكين واليتامى، اليوم يؤدونها لأنها فرض، كانوا يحجون البيت ليستذكروا شعائر الإسلام وتستجاب أدعيتهم، وتغفر

[1]– الرّواية، ص22.

[2]– الرّواية، ص30.

ذنوبهم، اليوم يحجون ليتباهوا بلقب الحاج أو الحاجة"[1] تكشف لنا الروائية أنا نية المجتمع تغيرت فلم تعد خالصة كما كانت من قبل.

وترثي الساردة الوطن على خذلانه لشبانه الثلاث وكسره لأمالهم الواعدة لكن الظروف عاندتهم في تحقيق ذلك فيقول ياسر:" الزمن تغير: تغيرت معه حكومتنا حتما ولكن نحن أيضا تغيرنا، الشعب هو الآخر تغير أنظر كيف أصبحنا نقذف لعضنا دون خوف، نحتكر سلعنا، تخرج من العمل قبل انقضاض ساعات الدوام وإذا عملنا انحزْنا لمعارفنا وأقاربنا، نتهرب من الضرائب المفروضة علينا، حتى نحن يا صهيب حتى نحن، متى كانت آخر مرة غرسنا فيها شجرة على الرصيف متى كانت آخر مرة نظفنا فيها المقابر والغابات، لقد بتنا شعبا من شعوب العالم الثالث هكذا بات اسمنا... يبتسم صهيب بسخرية:

هذا ليس اسمنا، بل الغرب الذي أطلقه علينا، فطبقت عليكم سياسة لوم الذات أحرقوا مكتباتكم وزورو تاريخكم، احتقروا لغتكم وثقافتكم ... "[2]. يكمن في هذا القول الرؤية النقدية التي تبينت في تَغَيُّر المجتمع من حكومة وشعب، فبات الغرب يزرع فينا سياسة لوم الذات.

وفي منطلق آخر يظهر جليا الرؤية النضالية في شخصية ياسر في سعيه للتغيير، فيقول:" جهزت الكثير من الخطط السياسية التي بإمكانها النهوض بالتنمية الاقتصادية وكذا تحقيق الرفاهية الاجتماعية والوعي الثقافي، في بلدنا وأنا متأكد أنني بتُ جاهزًا للشروع في نضالي ... يقاطعه قاسم:

[1]- الرّواية، ص30.

[2]- الرّواية، ص48.

توقف عن فلسفتك، أنا معك يا ياسر... يبتسم صهيب... مشى بضعة خطوات قبل أن يستوقفه ياسر بسؤاله:

أفهم من حديثك أنك لن تدعمني في قراري هذا... سأدعمك دومًا في كل خطواتك وقراراتك، ولكن لا تتوقع مني أن أكون بنفس حماسك"[1]، وفي هذ السياق يظهر لنا نضال هذه النفوس الطموحة والمحبة لوطنها من أجل تغيره للأفضل.

يبدوا في اقتباس آخر نقد الساردة لتفاهة المشهورين وأسفها على الوطن الذي أصبح يدفن مواهب أفراد المجتمع، و" يا أسفاه هكذا غدا الوطن، يدفن المواهب ويشهر تافهيه... وما يوجع أكثر أننا اليوم وبشكل ما أصبحنا جميعا مشاركين في خلقها، نحن من صنعنا التفاهة وشجعناها ومهدنا لها الطريق لتسلل إلى بيوتنا، هواتفنا، فأصبحت ضمن يومياتنا أن ندعم التافهين والمتبرجات قليلات الحياء ومنعدمي الرجولة على مواقع التواصل الاجتماعي وهم يشتهرون ويتقاضون الأموال جراء تكبيساتنا ومتابعتنا، مشاركاتنا وحتى انتقداتنا، وحين اكتشفنا تفاقم الأمر ومدى خطورته، ألقينا باللوم على الغرب لأنه دسّ بيننا تكنولوجيات سامة، تفسد أخلاقيات مجتمعنا"[2]. انتقدت الساردة حجم التفاهة التي وصلت إليها المجتمعات من خلال رسائل التواصل الاجتماعي عبر متابعاتهم لهم، التي اعتبروها كتأييد لمحتواهم الدنيء وبهذا الشكل يكون المجتمع قد، أعطاها قيمة لمن لا قيمة له.

في موضع آخر التبس الخذلان شخصية صهيب حيث بات ميت القلب، غير مبالي لما يحدث حوله و "كان كل ما في صهيب يوحي بأن قلبه بات رماديا، صمته، ابتسامته القليلة، وعيونه النعسة الممتلئة بالخذلان فيتعمد تهريبهما دومًا حينما يتحدث فتجده إمّا ينظر أرضا أو يدعي الانشغال

[1]– الرّواية، ص52، 53.

[2]– الرّواية، ص55.

بهاتفه".[1] جعلت خيبات الوطن المتكررة من صهيب جسدًا بلا روح، باردا رغم اجتهاده في العلم ومحاولة تغييره في الوطن، ويضاف إلى هذا خذلان آخر تكشفه الساردة في قولها:" تعثر الشهيد بالدلو، وتعثر قاسم بالحبل، وتعثر صهيب بأحلامه وتعثر أخي بوطنيّته، أتكتب نهاية الرجال دوما بسبب عثرة.

نحن الذين لم يعطونا يوما مكانا في الوطن، وحين قررنا أن نضع مكاننا بيدنا، نثروا الأشواك في طريقنا لنتعثر بها.

في البدء أوهمونا أننا ولدنا في بيت نعرفه جيدا حفظونا تاريخا زيفوه إذ وضعوا أسماءهم فيه ومحو أسماء من صنعوه... الأكثر قهرا أن الوقت قد تأخر عن استرداد ما هو لنا، تأخر على تصحيح التاريخ والمنهج والظاهر والباطن معا"[2]. يعكس لنا هذا التعبير الخيبة والانكسار التي تعرض لها هؤلاء الرجال المخلصين الذين عاندتهم الظروف، إذ ترمز كلمة "تعثر" إلى السقوط، يسود هذا النص الوعي المتأخر والمؤلم لفوات الأوان على التغيير كما تنتقد الساردة تزوير التاريخ وتزييف الهوية الجزائرية.

وبناء على ما تقدم ذكره، يتضح أن الرؤية الواقعية للمجتمع هي عبارة عن عدسة يظهر من خلالها تفاعل الكاتب وتأثره بالسياقات الاجتماعية، وهنا يصبح الأدب وسيلة لفهم تطلعات الفرد والجماعة ويبرز ذلك من خلال الاقتباسات التي أخذناها.

2. راهنيّة الواقع السّائد:

[1]– الرّواية، ص100.

[2]– الرّواية، ص139.

ينطلق المبدع المتمذهب بالواقعيّة النّقديّة من الواقع السّائد فيصوّر كلّ الظواهر السَّلبيّة التي تستشري في المجتمع؛ أي ينبغي له أن يعيّ الواقع الكائن، وأن يبصر ما لا يبصره الإنسان العاديّ الذي لم يؤت ملكة الإبداع.

وعند حديثنا عن الواقع السّائد نجد أنفسنا أمام مصطلح الوعي الكائن الذي يعرفه "غولدمان" على أنَّه "إدراك فئة اجتماعية ما لوضعها الرهن والوعي يكتفي أن يصف دون أن يعمل على التغيير"[1]، ويعني هذا القول أن الوعي القائم هو معرفة الواقع وما يجول فيه بحيثياته دون محاولة التغيير فيه وهو نوع من الادراك الذي تمتلكه مجموعة من الشخصيات الاجتماعية اتجاه المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وهذه الفئة تكون على وعي بالظلم والتهميش الذي تمر به.

تمظهر الوعي بالواقع السّائد في الرواية في عدة قضايا قد تناولتها الروائيّة، وهي: البطالة، الفساد، الطلاق، المخدرات والهجرة.

أ. البِطالة:

إن ظاهرة البطالة ظاهرة عالمية خاصة في دول العالم الثالث، كما تنتشر بالأخص في الدول في الدول النامية التي يكون اقتصادها أضعف والتي لا تعمل على تسيير مواردها وثوراتها الاقتصادية مما يجعل فرص الاستثمار تقل وتعجز الحكومة عن توفير العمل للعاطلين عنه، لذا تعد قضية البطالة قضية عالمية تسعى كل الدول إلى دراستها وتحليل أسبابها ونتائجها في كل مجتمع.

[1]– عادل اسعيدي، عبد القادر بختي، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، آفاق المعرفة، مج11، ع4، 2019م، ص510.

لم تقتصر فقط مشكلة البطالة فقط بالعوامل الاقتصادية والسياسية بل ترتبط أيضا بالأفراد الراغبين بالعمل، وجاء في تعريف لها على أنها "التوقف الاجباري لجزء من القوة العاملة على الرغم من قدرة ورغبة هذه القوة العاملة في العمل والانتاج ويقصد بالقوة العاملة مجموعة السكان القادرين والراغبين في العمل"[1]، وعليه تعني البطالة التوقف عن العمل والتعطل عنه سواء كان من فئة راغبة فيه أو غير راغبة وبالتالي ينتجُ عن ذلك جمود للقوة العاملة وسقوط في الاقتصاد والاستثمار.

وتبرز ظاهرة البطالة في الرواية متمثلة في شخصية:

قاسم: ظاهرة البطالة ليست مجرد حالة فردية بل نتجت عن خلل في البنية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما تطرقت إليه الروائية في كتابها وبيَّنته من خلال التهميش الذي تعرضت له الشخصيات في الرواية، بحيث بدأت الحكاية من خلال شخصيات: صهيب وقاسم وياسر، الذين اصطدموا بالواقع المزري والمخطط له ويتجلى ذلك عند موت أب قاسم وخرجه من الثانوية لغرض إعانة عائلته و "لم تكن لقاسم مهنة محددة يحلم بها كان حلمه الوحيد أن يتمكن من مساعدة والده على إعانة العائلة، إذ كان يعتبر نفسه رجل البيت في غياب أبيه العمّ عبد القادر"[2]، لم يكن قاسم على علم بأن الظروف ستسوقه إلى مسار مجهول لم يكن يحلم به البتة، ف "قاسم الضحوك بأحلامه البريئة لم يكم يعلم أن ما ينتظره كثير للغاية... كثير على برأته تلك وأنّه سيأتي يوم وتسرق الحياة منه ضحكته تلك"[3]، وهنا تكون الروائية قد مثلت شخصية قاسم الذي دخل في صراع مع البطالة على الرغم من تحصيله العلمي وآماله المبنية نتاجا للظروف التي قهرته "بعد موت العمَّ عبد القادر

[1]– حسام الدين زكي، ميادة رشيد كامل، تحليل مشكلة البطالة في العراق لمدة 2003–2008، مجلة العلوم الاقتصادية، مج9، ع33، تموز 2013م، ص43.

[2]– الرّواية، ص15.

[3]– الرّواية، ص15.

تخلى قاسم عن الدراسة قبل سنتين فقط من اجتيازه امتحان الباكالوريا، حاول الجميع اقناعه بألا يفعل، ووعدته الخالة مليكة بأن تتكفل بالعائلة كما فعلت أمي ولكنه كان على ذلك القدر من العناد، اتجه بعدها نحو أشغال البناء فأصبح يسافر إلى وهران كثيرا حيث صارت رؤيته أمر نادر"[1]، ولكن على الرغم من جل تركيزه على هدفه نسي أن الظروف قد تكون أكبر من حلمه وتتحكم في مستقبله.

لم تتوقف عقبات قاسم في اندثار أحلامه فقط بل تفاقم به الوضع للحد الذي وصل به لعدم قدرته على إعانة أسرته وكذلك لدفع تكاليف الزواج إثر تعرضه لحادث عمل، "في خطوة منه للخلف تتعثر قدمه بالحبل فيختصر تلك المسافة كلها في لحظة واحدة، ليجد نفسه واقعا على الأرض غارقا في بركة من الماء عاجزا تمام عن الحركة بعينين شبه مغمضتين ... مرت أشهر على حادث قاسم وهو مقعد على سرير خشبي في المستشفى لا يستطيع الحركة، جزم الأطباء بأنه سيتمكن من المشي بعد مدة ولكن لن يكون قادرا على حمل الأشياء الثقيلة مجدداً"[2]. ويتضح هنا آثار الحادث الذي تعرض له قاسم بعجزه عن العمل مجددًا. وفي جلسة جمعتهم تبادلوا أطراف الحديث إلى غاية ما يلاحظ ياسر تقلب وتعكر مزاج صديقه قاسم وصهيب في قوله:" ما خطبكما؟ هل حدثت مشكلة؟

يرد عليه صهيب بسخرية وهو يشعل سيجارته ويرمي بنفسه على السرير:

المشكلة حدثت منذ تخرجنا يا درويش، أيعقل أن لم تنتبه!

يلتفت أخي نحوى قاسم ويسأله باهتمام أكبر:

أخي ما الأمر؟

ينظر إليه بعينين منكسرتين وابتسامة مزيفة:

[1]– الرّواية، ص23.

[2]– الرّواية، ص109، 110.

لا شيء، كل ما في الأمرّ أنني سأكون عاجزا عن العمل بعد اليوم"[1]. يتسنى لنا من خلال هذا الحوار أن المشكلة التي يواجهونها هي مشكلة البطالة ومستقبل مجهول، وشعورهم بالانكسار والخذلان لعدم حصولهم على مهنة محترمة وشريفة تليق بهما.

تتوالى آثار هذا الحادث "تصفع ملاك قاسم صفعة قوية وهو ينقل لها قرار فسخ خطوبتهما، يحني رأسه لها دون أن يقول شيئا فتبدأ في معاتبته... أنت تعلمين أن زواجنا لم يعد ممكنا"[2]، مما أدى لاتخاذه قرار فسخ خطوبته وذلك راجع لعدم توفير المال الكافي الذي يحقق اكتفاءه الذاتي. "لم تكن الظروف حينها هي التي تتحكم بنا وإنّما الوطن، كانت نفقات أحلامنا تتضاعف وجيوبنا تفرغُ"[3]، و يتّضح لنا من خلال الاقتباسات التي أخذناها من الرواية أنّ البطالة التي وقع فيها قاسم كان لها تأثير في الحياة الاجتماعيّة الخاصّة به،.

صهيب: هو شخصية رزان محبة لتاريخ وطنها فكان يدرس تخصص تاريخ بالرغم من معارضة أبيه له في قوله:" إنّه العلم الذي أريده يا أبي إن الشعب الجزائري بحاجة إلى شخص يُشفي كسرهم التاريخي وعطبهم الثقافي بقدر ما هم بحاجة إلى طبيب يداوي جروحهم الجسدية.

هل تريد أن تقتلني يا هذا ما دخلك أنت في كسورهم الثقافية والتاريخية؟"[4] واصل صهيب دراسة الماستر في التاريخ وبعد تخرجه وجد نفسه بدون مهنة على الرغم من مستواه الدراسي، "ترك سيرته الذاتية في كل المؤسسات الحكومية والخاصة حتى، ولكن ما من حياة تنادي... كان الوقت يمر ببطء في نظره، هو يرى أشخاصا درسوا معه، وتحصلوا على معدل أقل من معدله يوظفون فقط

---

[1]- الرّواية، ص111.

[2]- الرّواية، ص125.

[3]- الرّواية، ص120.

[4]- الرّواية، ص24، 25.

لأنهم ذوي وساطة وأموال وجاه"[1]، تعرض صهيب للبيروقراطية على حسبه بسبب عدم قبوله للتمهين في عدة مؤسسات وفي الوقت نفسه هناك أشخاص بأقل مستوى منه تمكنوا بالظفر من فرص التشغيل والعمل.

كانت خطة صهيب استكمال الدكتوراه لكن تغير الوضع كليا ف "في ظل انتشار البطالة وغياب التوازن بين الأجور والقدرة الشرائية، فأصبح لا بُدّ له من التخلي عن فكرة الدكتوراه والشروع في البحث عن عمل مناسب. هو الآخر ترك سيرته الذاتية في كل المؤسسات التربوية... متأملا في منصب بالتعليم، خاصة وأن سيرته مزينة بشهادات إضافية كإتقان اللغات الأجنبية، وكشوف نقاطه تثبت امتيازه وتفوقه، بل وتوضح أنّه الأوّل في دفعته"[2]، تميز صهيب على غرار أصدقائه في الدفعة بمستواه العالي إلاَّ أنه انهزم أمام شبح البطالة، وتمثّل ذلك الانهزام بالتخلّي عن هواه القديم وهو حيازة الدكتوراه، فأقعدته تصاريف الحياة المضنية عن تحقيقها.

كان معظم خريجي الجامعات يمارسون مهنا في غير مجالهم العلمي "حيث بات خريجو الجامعات يزاولون مهنتهم بعيدا عمَّا يتلاءم مع مؤهلاتهم العلمية، في الأعمال الشاقة والتنظيف، أمام حلم تبخر تجسيدهُ مع معطيات الواقع في ظل الفساد والتلاعب العبثي بالمناصب وتوليتها لغير مستحقيها"[3]، وهذا ما نتج عنه فساد أدى إلى تبيان كل منتهك ومستبد. تخرد صهيب من الجامعة بتقدير ممتاز "ولم يترك مسابقة إلا وشارك فيها، حيث كان متأكدا في كل مرة من النجاح، إلا أن ذلك لم يحدث... والذي قضى عمره بين الكتب والتكريمات في ذلك اليوم الذي أصبح فيه عامل نظافة شيء ما بداخله انكسر لا لأنه ليقلل من قيمة عمال النظافة ولكن لن حلمه الذي سعى لأجله

[1]– الرّواية، ص43.

[2]– الرّواية، ص43.

[3]– الرّواية، ص44.

سنوات من عمره، ووقف في وجه والده لأجله تبخر في رمشة عين... كان من المفترض أن يرتدي بدلة بيضاء ويحمل قلما ويشرع في لإلقاء الدروس، فإذا به يرتدي بذلة برتقالية ويحمل مكنسة ويشرع في كنس الطرقات"[1]، تبدد حلم صهيب بأن يكون أستاذا لكنه وجد نفسه محطما لمزامنته مهنة عامل نظافة.

ونتج من كل هذا آثار سلبية على هذه الشخصية، فكان يقول:" الوطن لنا والقانون فوق الجميع"[2]، نظرا للخيبة التي وصل إليها صهيب أصبح ينظر إلى هذه الجملة و "يتأملها بسخرية تخفي تحتها وجع وقهر كبير"[3] فأصبح يقول:" الوطن لم يعد لنا والقانون ليس فوق الجميع"[4].

انتقل صهيب من شخصية رزان ومجتهدة إلى شخصية سلبية محبطة وغير مبالية، فقد بات مدمنا على السجائر بالرغم من أنه غير راض عن حالته. "وقعت عينا صهيب على علب السجائر، هل باتت السجائر تباع مع المواد الغذائية الآن.

- أريد علبة سجائر أيضا لو سمحت.
- أي نوع تريد؟

احتار صهيب ماذا يطلب وهو لا يعرف عنها شيئا ولا يفرق بينها، كيف وهو لم يجربها يوما، ثم واصل بعد شيء من التفكير:

- أعطيني سيجارتين من كل الأنواع المتوفرة لديك"[5]

---

[1]- الرّواية، ص44.

[2]- الرّواية، ص45.

[3]- الرّواية، ص45.

[4]- الرّواية، ص52.

[5]- الرّواية، ص46.

أودت الحالة النفسية التي دخل فيها صهيب إلى التهلكة وجردته البطالة من ثوب التدين والالتزام بالأحكام إلى ثوب الدنس والتدخين "كان متيقنا في داخله أنَّ ما يفعله شيء خاطئ تماما وستكون عواقبه وخيمة على صفيحته وصحته، وإلاَّ أنه في تلك اللحظة بالذات لم يكن يفكر، كان يفرغ شحنته السالبة وفقط" [1]، حتى بعد عثوره على عمل لم ينجح صهيب في التشاف من ندوبه وجروحه التي تركها فيه صراع البطالة.

طالت فترة البِطالة وإحساس صهيب بالظلم واليأس والتهميش وشعوره بفقدان قيمته في المجتمع ثقته بالوطن الذي كان يأمل في إيجاد منصب يتناسب مع مستواه ومجاله الدراسي في قوله:" أتريد حقا أن تعرف ما الذي ينقصني هنا؟ ينقصني الاحترام، أنا مقدر عند الله، ولكنني عند عباده مهان ذليل، تمنيت أن ينظروا لي مرة واحدة على أنني عامل محترم يجمع قوت يومه بالحلال ويتعب ويبذل جهده رغم عقبات الحياة وليس مجرد زبال يجمع فضلاتهم ويكنس طرقاتهم، مللت نظراتهم لي على أنني شخص مقرف ومتسخ، أنا لست كذلك يا ياسر"[2]، تواصل إحباط صهيب من نظرة الاحتقار التي يتلقاها من عيون الناس ونظرة المجتمع السلبية.

تُعد البطالة تجربة قاسية تغير مجرى حياة الكثير من الأفراد وتدخلهم في حيرة وتأخير في تحقيق أهدافهم وفقدانهم للشغف فيه، وكذلك تحوّل نظرة الإنسان من نظرة ذات بعد روحاني إلى بعد مادّيّ بحت، ويظهر ذلك في نظرة الأب إلى التخصّصات الإنسانيّة في الجامعة التي كلها استهزاء وازدراء.

ب. الفساد:

[1]– الرّواية، ص46.

[2]– الرّواية، ص123.

تشير كلمة الفساد إلى سوء تسير المنصب أو السياسة أو السلطة كما تعتبر هذه الظاهرة متعددة ومختلفة الأوجه، تختلف أشكالها وتتضمن العديد من الأشكال كالاحتيال والغش والاختلاس والرشوة... إلخ.

ويعرف الفساد على أنه:" خروج الشيء من حال الوجود والعدم وهو عند الفلاسفة زوال الصورة التي عليها المادة بعد أن كانت حاصلة فيها، كزوال صورة الكرسي بأن تتفرق أجزاءه المكون له"[1]. وجاء الفساد هنا على أنه فساد الشيء كزوال صورة الكرسي فقط وليس المادة يعني زوال شكله وهذا هو الفساد.

سلطت الرواية الضوء على الفساد المتفشي في مؤسسات الدولة والصفقات التي تعقد بالتخفي، فالكاتبة تصور عمق معاناة المجتمع الجزائري خاصة، حيث تتوجه مباشرة إلى مديري وموظفي الحكومة بنشرهم للفساد وتأثيرهم في المواطن العادي الذي يعاني من التهميش، فنجد سوء تسيير وعدم تكفل المؤسسات بالأوضاع في قول ياسر:" سيدي الوالي لقد باتت مدارسنا تعاني من اكتظاظ كبير وكثير من أطفالنا لم يلتحقوا بالمدرسة هذه السنة لهذا السبب، بحيث تم رفضهم فقط لأنهم أصغر من السن المحدد شهر أو شهرين أي منطق هذا يا سيدي هل سيُضيع أطفالنا سنة كاملة فقط لأن المدارس مكتظة؟"[2] ظهرت مشكلة التعليم جلية في هذا القول بحيث أن النقص في المدارس خلف اكتظاظا مع الأطفال من ممارسة حقهم في التعليم فقط لأنهم أصغر سنا من العمر المحدد بشهر أو شهرين.

[1]– موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د ط، مصر، ج1، ص498.

[2]– الرّواية، ص56.

واصلت الكاتبة في كشف المستور بإخراجه للعلن من خلال خلق الوعي في شخصية ياسر المناضلة والتي كانت تصرخ دائما فتقول:" إني أحمل جنسية بلد تمثل المحروقات هويته الرسمية، ومع ذلك لا تزال والدتي تطهو لنا الخبز في فرن من طين مستعينة بالحطب... ، لأننا عائلة تنحدر من منطقة ظل يصلنا الغاز بالتقطير في غياب العدالة والمساواة"[1]، نقل ياسر كمية الوجع، والتّمّر اللذين ينتابانه؛ لأنه في بلد يعدّ من أوائل مصدري البترول والمحروقات، ومع ذلك مازال شعبهم يطبخ على الحطب.

لاح التهميش الذي صدر من طرف الدولة فقر مدقع أدى بالروائية إلى تقديم شخصية ياسر اعتذارا ف "بالنيابة عن مئات الفتيات اللواتي تزوجن في عمر كان من المفروض أن يلعبن فيه بالدمى لن آبائهن لم يعد بإمكانهم تحمل نفقاتهم بسبب الفقر...، عن شباب تخلوا عن أحلامهم إذ أدركوا أن في هذا الوطن لا حلم لمن سعى، ولكن من توسطوا له حصد...، عن فتيان تخلوا عن مقاعد الدراسة وارتدوا ثياب المسؤولية لأن الوطن أغمض عينيه عن الأرامل والمطلقات...، عن ابن جيراننا الذي تعذر عليه الاعتذار لك شخصيا لأنه مشغول بتشيع جنازة لزوجته التي توفيت في طريقها لإنجاب حياة جديدة ذلك لأننا لا نملك مستشفى مهيأ لاستقبال المرضى في بلدتنا"[2]. رغم كل المشاكل التي طرحها ياسر إلا أن استهتار السلطات لا زال متواصلا إضافة إلى السياسة التي تتبعها البلدية خاطئة وظالمة. إضافة إلى مشكلة المناصب بحيث بات خريجو الجامعات بدون عمل في قوله:" حيث بات خريجو الجامعات يزاولون مهنتهم بعيدا عمَّا يتلاءم مع مؤهلاتهم العلمية في الأعمال الشاقة والتنظيف، أمام حلم تبخر تجسيده مع معطيات الواقع في ظل الفساد والتلاعب العبثي

[1]– الرّواية، ص57.

[2]– الرّواية، ص57، 58.

بالمناصب وتوليتها لغير مستحقيها"[1] فصار كل من هب يأخذ منصبا بالوساطة أو الرشوة وهذا نوع من الفساد في تولية المناصب لمن ليس أهلا لها.

وقد شرع ياسر في نشر خطابات الوعي موجهة للشعب في قوله:" مرت ثلاث سنوات على ترسيم رئيس بلديتنا الأخير، ولم يتحسن شيء في المنطقة، حتى أن الأمور تسير من السيء لأسوء، طرقنا أصبحت قديمة ولا ترميم مدارسنا صارت مكتظة ولا اهتمام، تجاوز عدد السكان أربعين ألف نسمة ونحن لم نحظ بمستشفى مناسب بعد وكأننا معصومين من المرض وحضرة رئيس البلدية يتحجج بأنه لا يزال منشغل بدراسة الإحصائيات التي ستمهد له الطريق نحو الشروع في إطلاق المشاريع"[2]. بعد قيام ياسر بالمظاهرات لم يظهر أي تعديل على المشكلات التي عرضها. يشرع بوصفه بالفاسد فيقول:" من الواضح أن ذلك الفاسد لن يحقق مطالبنا، كيف أعطيته صوتي! آه حينما أتذكر ذلك أحس عرق باغي يطرطقلي في راسي، والله أني تأملت فيه كثيرا، حينما أتذكر أرى فيه تشي جيفارا فإذا به الراعي"[3]، ندم قاسم لتصويته على قادة لأنه لم يكن كفأ لذلك المنصب وعدم علمه بفساده.

وعرضت علينا الكاتبة سوء أخلاق قادة نبهاري التي تمثلت في تجرده من المسؤولية بحيث أنه جسد الفساد الذي يتخلله، فيتبين ذلك من خلاله أقواله وأفعاله "حينما تحدث إليه ياسر بأدب ولباقة محترما عمره الذي تجاوز الأربعين ومنصبه...، إلا أن قادة رد عليه بكلمات سوقية منحطة،

[1]- الرّواية، ص44.

[2]- الرّواية، ص61.

[3]- الرّواية، ص70.

كان أسلوبه مختلفا ودنيئا يعكس شخصيته وطريقة تفكيره"[1]. إهانة قادة لياسر جعلته أكثر صرامة لرفع التحدي أمام النظام الفاسد.

لم يكتف قادة بإهانة ياسر فقط، بل قام بإرسال جماعة من الرّجال من أجل ضربه كطريقة لتهديده وإسكاته بغرض تغطية تهاونه في مسؤولياته عن طريق العنف "عمل حتى وقت متأخر ثم أغلق الورشة عائدا للبيت كانت الساعة تشير إلى حوالي الثانية فجرا الأزقة فارغة والناس نيام... فجأة توقفت عنده سيارة ونزل منها ثلاثة شباب ببنية جسدية ضخمة. حاملين معهم عِصيّ التفوا حوله وشرعوا في شتمه وضربه حتى سقط أرضا ثم أمسكه أحدهم من ياقته وصرخ فيه "لن تعبث مع قادة نبهاري ثانية أيها الوغد""[2]. مثلت ردود أفعال قادة وسلوكاته مدى دناءته ووقاحته وتماديه في استمرار على طريق الفساد والاحتيال، وهنا نفهم أيضا أنّ سلوكات قادة توهم النّاس أنّ ياسر رجل يثير المشاكل؛ لذا يجب التخلّص منه، وهنا نستحضر قول الله تعالى على لسان فرعون: ((**وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدعُ ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**))[3] ، فأوهم فرعون النّاس أنّ موسى عليه السلام ما هو إلا رجل يريد أن يفسد في الأرض، فحاربوه، وهذا ما حدث لياسر مع شخصية قادة الفاسدة، فقادة يملك شخصيّة خنفسائيّة لا يحب العيش في النقاء، بل يتلذذ بالقذارة، ويناصب العداء لكل من سوّلت نفسه أن يحارب المفسدين.

ونظرا للأوضاع المزرية التي وصلت لها حالة الشعب قرر ياسر الترشح لمنصب رئيس البلدية ومنافسة قادة نبهاري من أجل الإطاحة بالنظام الفاسد والتغيير للأحسن، "فرح الجميع بفوزه ما عدا المنافسين والحاقدين منهم قادة نبهاري الذي حينما تم الإعلان عن اسم ياسر اقترب منه هنأه

---

[1]– الرّواية، ص70.

[2]– الرّواية، ص91.

[3]– سورة غافر، الآية26.

ثم همس في أذنه "الآن فقط بدأت اللعبة" "[1]. حملت الجملة الأخيرة ضغينة وحقدا يكنّهما قادة لياسر، وكانت بمثابة إعلان عن حرب منافسة بينهما. لاقت هذه المنافسة الشرسة أبعادا جد سلبية بحيث تم زج ياسر في السجن عن طريق خيانة اليدّ اليمين له وهو شخصية جمال، وذلك يتجلى في قول:" معنا أمر من السلطات العليا باعتقالك بتهمة الإهمال الواضح في سرقة أموال عمومية"[2]. تظهر خيانة جمال لياسر عند محاكمته بعد افصاحه عن الحقيقة، والذي كان أمله الوحيد في ظهور براءته.

وفي الأخير يعترف قادة نبهاري بالمشاكل التي كان يسببها لياسر فقال:" كلفت أشخاصا أيضا بتمزيق صورك من على الجدران والتسبب في الفوضى في حملاتك كلها...، جاء إلى ذات يوم جمال وكان قد تخلى عني وأصبح في صفك توقعت أنه جاء للاستهزاء والسخرية، ولكنني تفاجأت حين سألني:" هل ما زلت تريد الانتقام من ياسر بركاتي؟"...، لم تكن عين جمال مصوبة يوما على صداقتك بل ما جعله يتقرب منك هو طمعه بمنصبك وغيرته من مكانتك بين شعب الظهرة، ظنا أنه بإمكانه أن يحصل على ما أنت تملكه، ولذا دبر لك ذلك الفخ ليسلك كلاهما"[3]. ومن خلال هذه الاقتباسات يتبين لنا أنه بالرغم من نضال ياسر وسعيه للتغير إلا أن الفساد الذي تخلل المجتمع كان أكثر من إرادته وعليه كان ضحية مؤامرة واحتيال.

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي انتشرت في الواقع المجتمعي هو:

ج. ظاهرة الطلاق:

[1]- الرّواية، ص138.

[2]- الرّواية، ص156.

[3]- الرّواية، ص180.

لقد تعددت معاني الطلاق من علم لآخر وحسب السياق الذي يستخدم فيه فنجد تعريفه عند الفقهاء "على أن الطلاق هو حل عقدة النكاح وإنهاء الرابطة الزوجية وإبطال كل آثار عقد الزواج التي كانت تتمثل بحل المعاشرة والمتعة التي تشكل أساسا من أسس البناء الاجتماعي الكبير الذي يكتسب أهمية بالغة في الطلب والقصد الشرعي، وإن كان في المال فهو الطلاق الرجعي بعد انقضاء العدة"[1]، ومن خلال هذا نجد معنى الطلاق هو الإفراج والتحرير وهو حل الرابط الذي بين الزوجين وإنهاء التقييد الذي بينهم.

وصحيح أن الطلاق قد يكون حلا لكلا الطرفين لكن يترتب عليه كثير من المفاسد للأولاد والآفات الاجتماعية وهذا ما نلمسه في الرّواية في قول منير:" قرر والديّ الطلاق بعد ستة سنوات من الصراخ واللوم والعتاب، أراد كل منهما إعادة تأسيس حياته، فتكفلت جدتي لأبي بتربيتي وقد كانت حنونة معي للغاية وأحببت العيش معهما كثيرا، ولكنها توفيت حينما بلغت السابعة، فأتممت عمتي المهمة... ولكنها لم تكن بنفس حنانها، فقد كانت تضربني بشدة كلما بللت فراشي بسبب الكوابيس أو اتسخت ملابسي جراء تعنيفي من قبل زملائي في المدرسة"[2]، لقد برز مدى تأثير الطلاق على شخصية منير من خلال طريقة التكفل به وعيشه طفولة صعبة خالية من الحب والحنان في ظل أسري متلاشٍ، "باختصار لقد عشت طفولة صعبة للغاية، ولكنني بدل العمل اخترت الطريق الأسهل وهو السرقة والحرابة وأشياء كهذه، ألقي عليَّ القبض وأنا في سن السادسة عشر وأوّدعتُ لمركز إعادة التأهيل لمدة ثمانية أشهر،... لقد غدوت سارقا وقاع طرق لا يعرف رحمة ولا شفقة...،

[1]– محمد أحمد حسن القضاة، الوافي في شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني الجديد، حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى المؤلف، عمان، 2012م، ص9.

[2]– الرّواية، ص173.

وصار الأمر أسوء بعد الثامنة عشر ثم أسوأ، أكثر بعد العشرين وهكذا كبرت تلك الجرائم أكثر فأكثر"[1].

ويتضح هنا الإهمال الأسري الذي أدى إلى انحراف الطفل الذي كتم الألم لفترة طويلة مما أدى إلى انفجار سلوكي لاحقا، ففي الوقت الذي يجب أن يُحتوى في جو عائلي وجد نفسه أمام شارع لا يرحم وهناك انحرف إلى عالم الجريمة، فالّذي يشعل فتيل الإجرام في المجتمعات هو التفكّك الأسري، يخطئ الأبوين، فيتحمّل الأولاد جريرة هذا الخطأ، فيتحولون من أطفال أبرياء إلى قتلة ومجرمين يثيرون الهلع والخوف في المجتمع.

د. ظاهرة المخدرات:

يثير هذا المصطلح عند كثير من الناس الخوف والفضول في آن واحد، حيث تعدّ ملجأ للشباب المراهقين وخوفا على أوليائهم، فتعرف على أنها:" تتمثل في مواد سامة طبيعية واصطناعية تحدث آثارا مدمرة على الصحة العقلية والجسدية للإنسان مع الإشارة إلى أن بعض هذه المواد أوجدها الإنسان أصلا من أجل التداوي ومعالجة بعض الأمراض المستعصية والتقليل من آلامها"[2] فالإنسان اخترع هذا المخدر أو المخدرات من أجل التداوي وليس من أجل تدمير الصحة العقلية والجسدية، كما لا ننسى أن المخدرات محظورة ومحرمة في جميع الديانات وليس فقط الإسلام.

وقد تمثلت المخدرات في الرواية كطريق لهروب شخصية منير من مجموع الضغوطات التي تعرض لها في طفولته مما أدى إلى إدمانه وفقدانه للأمل في ظل الأوضاع القاسية، اعتبرت

[1]– الرّواية، ص174.

[2]– إيمان بلحمرة، مفهوم المخدرات تصنيفاتها وأهم أنواعها، مجلة القيس للدراسات النفسية والاجتماعية، مج5، ع17، الجزائر،2023م، ص32.

هذه الشخصية أن المخدّرات هي الملجأ الآمن للخروج من الظلم والاحتقار، وهذا ما تجلى عندما اكتشف ياسر طبيعة العلاقة التي تجمع منير بالأطفال، "كانت الضجة... توجه نحوها بهدوء دون أن يُصدر صوتا، فإذا به شاب في مقتبل العمر، ومعه أربعة أطفال من الذكور توحي محافظهم ومآزرهم أنهم تلاميذ مدرسة، كان الشاب يمسك بأذن أحد الأطفال ويسأله عن سبب تأخره ثم أخرج من كيس نفايات أسود كبير كان يحملهُ، أكياس صغيرة بيضاء، فصدم ياسر مما رآه، ثم اتصل بالشرطة على الفور، كان الشاب يَعُدُ الأكياس حتى الثلاثة ويضعها في محفظة كل طفل على حدة"[1]، يتسنى لنا هنا مدى خطورة الأمر وتفاقمه إذ إنه وصل إلى حد فساد النفس البشرية وخاصة الأطفال الذين يعدون اللّبنة الأولى لبناء المجتمع.

ولما وجد ياسر أنّ الرقعة اتّسعت على الراقع، والأمر قد خرج عن السيطرة، "اقترب قليلا واختبأ خلف إحدى السيارات التي كانت مرهونة هناك، ثم أخرج هاتفه وأخذ يصور ما يحدث، كان الشاب يخبر كلا منهم عن الأماكن التي يجب أن يوصل البضاعة إليها، والطرق التي عليه المرور بها تفاديا لأية مشاكل"[2]، وعليه اتخذ ياسر إجراءات صارمة اتجاه هذا الموضوع الخطير واتصل بالشرطة من أجل الحد من هذه الظاهرة التي اغتصبت براءة الأطفال.

أدى فخ المخدرات إلى زيادة في ارتكاب الجرائم، فمنير بدل أن يتعظ من الجرم الذي ارتكبه بقي مُصرًا على الانتقام من ياسر وهذا من سلبيات المخدرات و تبين في قول:" وهو يستمتع في حضنه الدافئ يشعر يَخزُ أسفل بطنه وصوت يهمس له:" الآن نحن متعادلان".

[1]- الرّواية، ص39.

[2]- الرّواية، ص39.

ينظر فإذا بمفك يسحب منه ويوخز ثانية ثم يسحب مجددا، يتقاطر الدم منه ويسقط على ركبتيه أن يتمدد جسده كله على الأرض، يشعر بألم شديد وقشعريرة تكسو جسمه، يجلس منير بالقرب منه معترفا:" أنت لا تعلم كم انتظرت هذه اللحظة، كل يوم كان يمرُ عليَّ هنا في السجن كنت أعدُ فيه بالانتقام منك وحين جاؤوا بك إلى هنا كدت أطير فرحًا علمت حينها أن حتى الحياة تريدني أن آخذ بثأري منك"[1]. بعد أن اكتسب منير ثقة ياسر قام بخداعه والاحتيال حتى أوقعه في حُجر الانتقام، وحينها أصبحت هذه الشخصية مخادعة وماكرة مستغلة، وهذا ناتج عن إدمانه للمخدرات.

ونخلص في الأخير أنّ شخصية منير التي كان من المفروض أن تنير المجتمع بأن يغدو إنسانا فاعلا فيه، غدا ظلاما دامسا، ومعولا من معاول الهدم في المجتمع، إذ أدخل شريحة الأطفال الأبرياء في مستنقعات الإدمان، وهنا قد استهدف الفئة المهمّة في المجتمع التي هي أساس بناء المجتمعات.

يبدأ الإدمان عن طريق إيهام النفس أنّه يجب على الإنسان أن ينفصل عن العالم الخارجيّ المليء بالمأساة في لحظة أبيقورية، وذلك بأن يستهلك المخدّرات، ومن ثم يفتح بابا لا يسدّ في سبيل إلحاق الأذى بالنفس أولا، ثم بالغير ثانيا، فالمخدّرات تحيل صاحبها إلى خرقة تترامى في الشوارع، فينتقل من إنسان منتج إلى مستهلك سلبيّ.

ولقد وضعت الروائيّة يدها على مسبّب الجريمة الأوّل وهو المخدّرات التي مسبّبها الأوّل كذلك هو الإهمال الأسريّ، ومحاولة نسيان مشاكله.

هـ. ظاهرة الهجرة:

[1]– الرّواية، ص202.

إن هذه الكلمة تعبر "عن انتقال البشر من مكان إلى آخر سواء فرادى أو جماعة نتيجة لأسباب سياسية، اقتصادية، اجتماعية وأمنية، وهي منظمة بقوانين تكون تأشيرة الدخول وبطاقة الإقامة دليل للتواجد الشرعي للمهاجر"[1]، وفي تعريف آخر:" الانتقال الفردي أو الجماعي من مكان إلى آخر بحثا عن وضع أفضل اجتماعيا او اقتصاديا أو سياسيا"[2] فالهجرة هي انتقال الفرد من بلد إلى آخر بغية تعين ظروفه أو تحقيق أحلامه.

يعد موضوع الهجرة من المواضيع البارزة في الرّواية، والتي وظفتها الكاتبة كخيار، فلقد اضطرت الشخصيات إلى هجر الوطن بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية مما أدى بالفرد إلى الانكسار والمعاناة، كما تظهر الكاتبة الصراع النفسي الذي تعيشه الشخصيات وهما شخصيتان: قاسم وصهيب.

بعد فشل صهيب في إيجاد عمل بسبب المنظومة الفاسدة وفقدان الأمل ومعاناة قاسم قرروا مغادرة الوطن بقلب بارد، وذلك نتيجة الخذلان الذي تلقوه فأول كلام نجده في الرّواية:" أعتذر لأن قريتي أصبحت عجوزا بعد أن اختار نصف شبابها ركوب قوارب موت تسبح على أمواج تحركها دعوات الأمهات والحظ، بعد أن يئسوا من إيجاد وظيفة تتناسب مع كفاءاتهم العلمية وشهاداتهم الجامعية"[3]. وهذه أول كلمات تمهيدية قالها ياسر للوالي بدون أن يعلم أنّ صديقيه سيكونان من الذين يركبون البحر أملا في الوصول إلى حياة كريمة من ظهر الغرب.

[1]– فؤاد حبيب، بلاهدة حنان، ظاهرة الهجرة في العالم، قراءة في المفهوم والاقتراب النظري، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف– الجزائر، مج6، ع1، 2022م، ص76.

[2]– المرجع نفسه، ص76.

[3]– الرّواية، ص57.

تمثلت الهجرة هنا كحل لمشكلة البطالة والفقر وكل المشاكل الاجتماعية فكان الخروج من الوطن وسيلة للبحث عن مصادر العيش الكريم فمن يتأمل في الشخصية الجزائرية يجد فيها كثرة الترحال. لكن الأمر هنا مختلف فهذا الترحال كان اختيارا اضطراريا لهذه الشخصية، فبعد عدة محاولات يائسة لياسر وصهيب وقاسم في التغيير لأحسن قرر صهيب وقاسم الهجرة فقال:" ياسر النضال لم يعد يجدي نفعا... سأهجر... الموت ولا الذل، لم يعد هذا الوطن يتسع لكرامتي يا ياسر، إنهم يقذفوننا بطين الإهانة في كل مرة نفتح فيها فاهنا مطالبينا بحقوق هي في الحقيقة لنا"[1]. ويتجلى هنا الخذلان الذي تلقوه من الوطن فهم لم يهاجروا كرها بل اضطروا لذلك وتبين ذلك في قوله:" لن نهاجر الوطن كرها له وإنما يأسا منه"[2]. فالهجرة هنا ليست تعبيرا عن كره للوطن وإنما عن فقدان العدالة والكرامة فرغم حبه للوطن إلا أن الأمن والأمان لم يعد متوفرا.

وتسلط الروائية الضوء على مشاعر صهيب في قوله:" هؤلاء الحمقى جردوني من وطنيتي ولذا قررت الهجرة. سأهاجر إلى بلد لن يكون يوما وطنا لي وشعبه لن يكون يوما شعبي وأنا أعلم هذا جيدا ولكن على الأقل لن يؤذيني الأمر حينها"[3]. وهنا تظهر مشاعر صهيب وكرهه لنظرة المجتمع له وقراره بالهجرة رغم معرفة عواقب ذلك.

تصف لنا الروائية أيضا طرائق هجرة الشباب بقهر إلى بلاد الغربة فلا ملجأ آخر لهم إلا الفرار من الوطن ف "بقهر يتأمل صهيب شهاداته جوائزه، مدالياته تكريماته ولوحاته، يحمل صورة جدّه بين يديه ويضمها، يقبلها ثم يضعها على الطاولة... في حين يجهز قاسم حقيبة ظهرٍ يضع فيها أدويته ويضع ملابسه والقليل من الطعام الذي جهزته والدته... عند قاربين مهترئين الجسد

[1]- الرّواية، ص120، 121.
[2]- الرّواية، ص121.
[3]- الرّواية، ص123.

يصطف حوالي تسعين شخصا بين خريجي سجون. وثانويات وجامعات، الأكثر وجعا ليس الصنف الأخير إنما الأطفال الذين لم يتجاوز عمرهم الرابعة عشر بعد ما باتوا يعلمون مصيرهم في هذا الوطن مسبقا"[1]. وهنا يظهر أن الهجرة لم تكن فقط للشباب وإنما لكل الفئات العمرية، فلقد اختار قاسم وصهيب الاغتراب على متن قارب متهالك. انتقلت هاتان الشخصيتان من بلد إلى آخر فرغم اختيارهم لهجرة مؤقتة إلا أن القدر كان شيء آخر.

وتؤدي الهجرة عموما إلى آثار متعددة أمنية ونفسية وصحية...إلخ. وهذا ما وظفته الروائية من خلال الشخصيات فلقد "مرت أسابيع على الهجرة الغاليان وصهيب لم يأتينا عنه خبر بعد، أما قاسم فقد استقر بإسبانيا رفقة شابين يمسح الزجاج ويكنس الأرض"[2]. وفي هذا الإطار يظهر لنا أن معظم المهاجرين يعملون في وظائف غير وظائف العمال الأصلين، كما أنها منخفضة الأجر وهذا ما حدث مع قاسم.

وترتبط ظاهرة الهجرة بعدة قضايا كالجرائم وهذا من آثار الهجرة والتي أدت بقاسم إلى موت بشع فـ "هناك في أوروبا، في بلدان الحرية المزعومة، والسادية التي تخفي تحت شعاراتها الكاذبة جرائم قتل واغتصاب وترهيب وتصفية عرقية، أنى له أن يؤثث لقلبه أحلاما تليق بحجم رجولته وشهامته وطول كبريائه؟"[3] فظاهريا تبدو دولا أمنية محترمة تؤدي واجباتها اتجاه المواطن على أكمل وجه لكن في الخفاء يحدث غير ذلك، فقتل قاسم كانت جريمة شنعاء حدثت في بلد آخر في قول الساردة "فجأة يظهر أمامه شابين، يتضح من هيأتهما أنهما أجنبيان، يغطيان وجههما بكمامتين طبيتين، يدفعه أحدهما نحو الجدار ويشير إليه بسكين في حين يأخذ الآخر حقيبته ويبدأ بتفتيشها ثم

[1]–الرّواية، ص128.

[2]– الرّواية، ص135.

[3]– الرّواية، ص143.

يصرخ في وجهه مطالبا بالمال... يضربه أحدهما، ولكن قاسم يكرر إجابته نفسها وهو يبرر موقفه يرن هاتفه، يأخذانه منه فيستغل فرصة انشغالهما ويضرب الأول على أنفه، يرن هاتفه، وقبل أن يتمكن من الهرب يشعر بشيء يخز بطنه، ينظر فإذا بسكين تسحب منه فيتقاطر دمه على الأرض ويسقط غارقا فيه"[1]. مما يعني أن قاسم قد قتل من قبل أجنبيين وهذه من الظواهر الانحرافية الموجودة في الدول الأخرى وهذا كله نتيجة هجرة غير شرعية.

والموت لا يكون فقط بالقتل بل يكون عبر ابتلاع البحر لأرواح الناس فالساردة تقول:" أتساءل في داخلي عن عدد الشباب الذين انطلقوا على قوارب موت من هذا الشاطئ، ترى كم روحا ابتلع هذا البحر، كم حلما غرق!"[2] فمعظم الشباب كان مصيرهم الموت غرقا مثل صهيب.

وفي ختام هذا فإن الهجرة بمختلف أشكالها تكشف عن اختلال في النظم الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، كما أن عدم إيجاد حلول لهذه القضايا هو ما يشكل المعاناة للفرد مما يجعله يخرج عن طوره الأصلي، ومن مخلّفات الهجرة كذلك انسلاخ الفرد عن وطنيّته، في حين تجده منبهرا بحضارة الآخرين المادّيّة،.

ز. ظاهرة الاغتراب وتمثّلاتها في البطل الإشكالي:

تعدّ ظاهرة الاغتراب ظاهرة سلبيّة معنويّة يقع فيها الإنسان وسط مجتمعه، وهي من الظواهر الشائعة لدى الإنسان المعاصر، وقد جسّدت الروائيّة هذه الظاهرة في شخصية من شخصيات الرواية وهو ما يسمّى البطل الإشكاليّ.

[1]– الرّواية، ص144.

[2]– الرّواية، ص197.

وهذا البطل الإشكاليّ من الأبطال الذين وقف عنده "لوسيان غولدمان" مطولا حيث حاول من خلاله الربط بين البنية الاجتماعية والأدبية، ويصفه "غولدمان" من خلال ما توصل "لوكاتش" في قوله:" إن شكل الرواية الذي يدرسه "لوكاتش" هو الشكل الذي يميز وجود بطل روائي أطلق عليه لحسن الحظ مصطلحا مناسبا جدًا وهو مصطلح البطل الإشكالي"[1] يوضح القول مفهوم هذا المصطلح عند "لوكاتش" والذي تبناه بعده "غولدمان" على أنه مفهوم محوري يعطي الرواية طابعا إشكاليا معبرا عن أزمنة مجتمع ما في فترة زمنية معينة.

كما يعدّ البطل الإشكالي تعبيرا عن إدراك ووعي فئة اجتماعية معينة تحارب من أجل الشيء الأفضل دائما كالعدالة والنضال والحرية، إلا أن الظروف تكون عكس المخطط له. وفي موضع آخر يعرفه "لوكاتش" أنه:" هو بطل يريد أن يغير الواقع لكنه يواجه صعوبات مما يجعله يعيش وعيا شقيا فهو شخص تبنى قيما ومثلا لا يعترف بها الواقع بسلبياته وتناقضاته، فينشأ صراع بينه وبين المجتمع ينتهي إما بقهر البطل كفرد مخالف أو انسياق ومجتمع بشكل تدريجي إلى أفكار البطل الإشكالي بوصفه حتمية تاريخية"[2]. تقدم هذه المقولة البطل الإشكالي على أنه رمز للمقاومة والنضال في ظل كل العراقيل والتناقضات الاجتماعية وإدراكه للواقع الفاسد. كما تكون نهايته مأساوية بحيث أنه لا يتمكن من التغير في المجتمع لكونه فرد مهمش.

وبعد عرضنا لمفهوم البطل الإشكاليّ لا بدّ أن نعطي مفهوما للاغتراب، حتى نبيّن العلاقة الوشيجة بين البطل الإشكاليّ و ظاهرة الاغتراب التي هو واقع فيها.

---

[1]– لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عردوكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1993، ص14.

[2]– حاج علي ليلي، تمظهرات البطل الإشكالي في القصة القصيرة الجزائرية، مجلة فصل الخطاب، مج11، ع2، وهران (الجزائر)، جوان 2022، ص284.

إنّ المطلع على ظاهرة الاغتراب يجد أنّها تنقسم إلى عدّة أنواع منها الاغتراب الاقتصادي، الاغتراب النفسي، الاغتراب الاجتماعي، وهذا الأخير هو الذي نركز عليه؛ لأنّ له علاقة بموضوع بحثنا.

الاغتراب الاجتماعيّ:

ونعني به" شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة، إضافة إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة والتشاؤم واليأس، وما يرافقه من سخط أو تمرّد، أو نقمة أو ثورة"[1]، وغالبا ما يحدث هذا الاغتراب حين يحمل الإنسان قيما وأفكارا تتباين وتتمايز عمّا هو سائد في المجتمع من قيم وأفكار، وهنا إذا لم يستطع هذا الإنسان تغيير عادات وقيم وأفكار المجتمع الذي ينتمي إليه يقع فيما يسمى الاغتراب الاجتماعي، ويتجرع مرارته وحده فقط.

تغير البطل الإشكالي في الرواية " نحيط الوطن" عن ذلك البطل الأسطوري الذي عهدناه منقذا ومثاليا في الروايات القديمة. بل أصبح شخصيّة تعكس لنا اضطراب الذات وتمزقها، فبات يحمل صراعا داخليا منهزما، ومن ثمّ يصاب بما يسمّى الاغتراب، وقد تولّد هذا الاغتراب من شدّة وعي الشخصيّة البطلة بكلّ الأبعاد المأساويّة التي تحيط بالوطن و ذلك بداية من مؤامرة اغتياله من

[1]–سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجريّ، دار الينابيه ، ط1، دمشق، 2000م، ص1515.

قبل المفسدين الّذين لا يرقبون في الشعب إلًّا ولا ذمّة، وانتهاء بانقلاب الشعب على ياسر واتّهامه بالخيانة العظمى.

وقد بدأت حكاية النضال والوطنية عندما اختار ياسر تخصص العلوم السياسية في الجامعة" العلوم السياسية! منذ متى بدأت تفكر في هذا التخصص يا بني، أوليس كرة القدم هي أكثر شيء يثير اهتمامك...، لقد كانت أحلام عصر وانتهت يا أمي... الموهبة في هذا الوطن لا تكفي يا أمي لا بد من الوساطة...، ولأنني ابن برج البعل لن تصل قدماي إلى تلك الأندية أبدا ولا للمنتخب الوطني، لذلك قررت أن أتعلم العلوم السياسية، لأكون سياسيا وأمنع من أن يواجه الذين يأتون بعدي هذه الصخرة الكبيرة"[1] إن نظام الوساطة هو الذي دفع بياسر إلى تغير هدفه فوطنه لا يعترف بالشهادات والمواهب بل يعترف بالنفوذ والبيروقراطية.

ينبثق تأزّم شخصيّة ياسر وتنشأ وضعيّته الإشكاليّة من خلال وطنيّته وحبّه لوطنه الّتي لا يرضى أن يعيث فيه المفسدون فسادا، فيفتتح خطابه بجملة نضالية توعوية مع الشعب فيقول:" نحن من سيتحدث، آن الأوان...

نحن من سيصرخ: الوطن لنا، ثرواته لنا، أرضيته لنا... شاءوا أو أبوا الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية، بالشعب تبنى وإلى الشعب تهدى... التظاهر، إنه حقنا الدستوري، وقفة احتجاجية أمام مقر البلدية بطريقة سلمية وراقية تعكس رقي أخلاقنا وفكرنا"[2]. كانت أول محاولة نضال لياسر هي عن طريق مظاهرات سلمية تعكس رقي أفكاره وأخلاقه، وإثباته لحب الوطن بلم شتاته ودفع الفساد.

[1]- الرّواية، ص26.

[2]- الرّواية، ص62.

واصل ياسر نضاله حتى أصبح قادة نبهاري يكرهه ويكن له حقدا "أمام مقر البلدية يتجمع مئات الرجال حاملين معهم أعلاما وشعارات...، في المقدمة الثلاثي المعول عليه، صهيب وقاسم يتوسطهما ياسر وقد حملوا بين أيديهم راية بيضاء كبيرة كتب عليها بالخط العريض (لا لمجلس العار فما بني على الباطل يبقى باطلا)...، يعم الهدوء قبل أن يكسره ياسر بصوت حاد وواثق "نريد حريتنا، نريد حقوقنا، نريد ما هو ملكنا... قطب قادة حاجبيه ونظر لياسر بعيون مستنكرة... أيّها الحثالة من تكون أنت لتحاسبني وتملي علي أفعالي؟ ألا تعرف من أكون يا هذا أنا قادة نبهاري""[1]، يتجلى هنا صراع واضح بين ياسر وقادة نبهاري كما يوحي لنا تصرف قادة الوقح، أخلاقه وزمجرته في وجه ياسر ودفاعه عن نظامه الفاسد.

وترشح هذا البطل للانتخابات حيث "كان ياسر المترشح الوحيد المنفرد في حين كان للمترشحين الباقين أحزابا تدعمهم وتحسن من معنوياته... فعلها أخي إذا... صار أخيرا رئيسا للمجلس الشعبي البلدي، وسيتولى زمام الأمور بنفسه، سيعدل وينصف، ويلبي المطالب ويحقق الأحلام"[2]، نجح ياسر بالظّفر بمنصب قادة نبهاري وهذا ما جعله يتمادى أكثر في حقارته وحقده. تظهر خيانة جمال معين ياسر حين وضع المال في خزينته "يفتح أخي فإذا بها سيارة الشرطة مركونة أمام بيتنا وضابط بلباس رسمي وآخران ببذلة عسكرية، يسأل الضابط الأول: "ياسر بركاتي" فيجيب أخي بقلق:" نعم أنا هو". فيرد الضابط وهو يريه وريقة لاعتقاله:" معنا أمر من السلطة العليا باعتقالك بتهمة الإهمال الواضح في سرقة أموال عمومية"... يتفاجأ أخي من التهمة التي وجهت إليه، ولكنه لا يخاف، فهو يثق في براءته ويعلم جيدا أنها غير صحيحة[3]، وهكذا يتم اعتقال ياسر عن طريق خيانته

[1]- الرّواية، ص66، 67.

[2]- الرّواية، ص137.

[3]- الرّواية، ص156.

وغدره وبتهمة باطلة مكيدة له رغم براءته، وهنا تظهر شخصية ياسر مترنحة بين الانتماء والاغتراب، فهو من جهة ينتمي إلى قيم الخير والإنسانيّة التي يريد أن تعمّ مجتمعه، ومن جهة أخرى يكون مغتربا عن أفكار منظومة الفساد التي يمثّلها شخصية قادّة التي دبّرت له المكائد حتى توارى خلف القضبان ظلما.

وتتوالى الضربات نحو ياسر انطلاقا من جمال الخائن وصولا إلى الشعب الذي ساندهم وطعنوه في الأخير ف "يسمع كلام الحاضرين وهم يشتمونه، يقولون بعضهم "خاين" ويجيب أخرين "لقد وثقنا فيه يا خسارة" يراهم يطلقون النار على صدره بألسنتهم ويقف ساكتا عن حقيقته التي لم يعتقدوا يوما أنه سيحتاج لدليل كي يثبتها، لا يبدي ردة فعل لكلامهم ولا لخيانتهم، يقذفون وطنيته وحين تقع عينيه في أعينهم ينزلون رؤوسهم ارتباكا من هيبته ورجولته"[1]، انهزم ياسر أمام خيانة شعبه الذي كان قد علق جل أماله فيهم للوقوف معه في حملته النضالية لكنه لم يكن يعلم أنهم ضعفاء جدا لتحمل هذا العبء.

وقد انتهت مسيرة ياسر النضالية بموته في السجن عن طريق منير بائع المخدرات الذي كان قد كشف عنه ياسر سابقا، "وهو يستمتع بحضنه الدافئ يشعر بشيء يخز أسفل بطنه وصوت يهمس له: "الأن نحن متعادلان"... يشعر بالحرية تقترب منه وجسده تنخفض درجة حرارته، يرفع سبابة يده اليمنى، ويبدأ بالتشهد... مات ياسر إذا"[2].

وفي نهاية المطاف نجد أن البطل الإشكالي كان ضحية خذلان وخيانة، فلقد كان مؤمنا بالتغير والعدل وقدم روحه لقضية راهن عليها لكن الوطن تجاهل تضحياته رغم إخلاصه له، إلاَّ أنه

[1]- الرّواية، ص160.

[2]- الرّواية، ص202، 203.

لقى حتفه فداء لنضاله. وهكذا تكون الروائية قد ربطت بين أحداث الرواية وأحداث واقعية اجتماعية، وما ينبغي لنا أن نشير إليه أنّ البطل الإشكاليّ في هذه الرواية كان بطلا تراجيديّا.

3. إستراتجية الرؤية الاستشرافيّة(الواقع الممكن):

ومن مميزات الواقعية النّقديّة على حدّ قول الناقد المصريّ صلاح فضل:" رفض الواقع والرغبة في تغييره، تصوير الواقع، وإعادة خلقه وإخضاعه للنّقد والتّحليل، نمذجة الشخصيات، النظرة التاريخيّة، ورؤية المستقبل"[1]، ومعنى هذا أنّ الروائيّ ينبغي له أن يؤسس واقعا آخرَ هو الواقع الممكن الّذي يشرئبّ إليه المبدع أثناء تشكيله للنّص الأدبيّ، وهنا ينتقل من الواقع الحقيقيّ إلى الواقع الفنّي الّذي يحرّك فيه المبدع شخوصه بين الواقع الكائن والواقع الممكن المأمول، وكل هذا يحيلنا إلى مصطلح الوعي الممكن الّذي أتى به لوسيان غولدمان الّذي يحمل المفهوم نفسه.

ويختلف هذا الوعي عن الوعي القائم لكونه يجد حلولا وعلاجا للأزمات الاجتماعية فهو "ذلك الوعي المتطور عن الوعي القائم ذي الملامح السكونية السالبة النابعة لتداعيات أحداث العالم الواقع الراهن المتحكم في سيرورة تفاعل الطبقات الاجتماعية، لكن هذا الوعي الممكن يتجاوز في تطلعه وتعبيره عن مكنونة ذلك المستوى السكوني للوعي القائم الذي أتاح وجوده يشكل في مستوى أعمق إدراكا أكثر تجريدا وشمولا للتجربة الانسانية وتصورا أمثل لمستقبلها يمنح بعدا آخر لمعالجة الأزمة"[2]. مما يتضح لنا أن مصطلح الوعي الممكن أعمق وأشمل من مصطلح الوعي القائم، فهو يعمل على تحليل المشكلة وإبراز جوانبها من أجل تجاوز العالم السكوني الذي تقيد فيه الوعي القائم.

---

[1]–صلاح فضل، منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبيّ، دار المعارف، ط2، مصر، 1997، ص58.

[2]– محمد الأمين بحري، البنيوية السكونية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ، دار الأمان، ط1، الرباط، 2015، ص161.

ويتمثل الواقع الممكن في الرواية عن طريق شريحة من الشباب الذين فقدوا الثقة في الوطن يعيشون حياة مهمشة، فمن خلال الشخصيات الثلاثة التي ركزت عليها الروائية في الرواية يظهر الوعي عبر الشعور بالغربة والضياع والسلطة الفاسدة، أدركت هذه الفئة من الشباب أن الهوية والقضاء على الفساد يكون عبر التضامن والتغيير في البنية الاجتماعية والاقتصادية في قول ياسر:" الإصلاح يبدأ من أسفل الهرم حتى يصل إلى أعلاه، لا يمكنك أن تبني اقتصادا ناجحا والتجار يحتكرون بضاعتهم ويتهربون من الضرائب ولا يمكنك أن تصنع منهاجا تعليميا ناجحا والأستاذ يشرح الدروس بنقص ليجبر تلاميذه على اللحاق به، ولا يمكنك أن تبني قطاعا صحيا ناجحا والطبيب في المستشفى العمومي يعطي وصفات طبية مبالغ فيها ليجبر مريضه على التوجه نحو صيدلته الخاصة"[1]، وهنا يظهر وعي الشخصية أن الاصلاح يبدأ من خلال الذات الفردية التي لابد منها أن تعمل بصدق ومصداقية لكي يكون صلاح وإصلاح في الحياة الاجتماعية.

ويظهر الواقع الممكن أيضا من خلال الشخصيات التي تدرك أن الوطن يستقيم من خلال التمسك بالدين فقاسم يقول:" نحن مسلمين ولا بد لنا من اتخاذ الشريعة كمصدر للقضاء والسياسة والإسلام بإمكانه أن يجعلنا دولة متطورة"[2]، ومعنى هذا أن التطور يكون عن طريق اتخاذ الشريعة كمصدر للبناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

ويعدّ ياسر شخصا واعيا بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية خصوصا بعد الفساد الذي رآه من القادة نبهاري، كما تظهر شخصية ياسر نوعا من الاحتجاج من خلال قيامه بمظاهرات ردًا على الفساد والنفاق والظلم السياسي. يبدأ ياسر النضال من خلال الإعلام والصحافة في قوله:" لنبدأ من

[1]- الرّواية، ص30.

[2]- الرّواية، ص30.

الإذاعة، أعرف صديقا فلسطينيا درس معي في الجامعة تخصص صحافة... سأتحدث معه عله يساعدنا"[1] أيقن ياسر أن البداية الأولى في التغير تكون عبر وسائل الاعلام والاتصال فلجأ إلى صديقه ليساعده على ذلك.

وبعد الكثير من الجهود من قبل ياسر التي لم يظهر أي تغير في الأمر قرر أن يخرج في مظاهرات فـ "مع استمرار المظاهرات وعلو صوت الشعارات أدرك قادة أن الحرب التي أعلنها عن ياسر على وشك أن يهزم فيها فقرر التمادي في حقارته ووضاعته بإرسال أشخاص لتهديد ياسر... أثار ذلك الرعب في قلب أمي لكنها لم تحاول إقناع أخي بالتراجع عن الأمر"[2]، كان ياسر على علم أن النضال هو الذي سيقوده إلى النصر بعد الكثير من المجهودات التي قدمها بعد ترشحه لانتخابات :"صار أخيرا رئيسا للمجلس الشعبي البلدي وسيتولى زمام الأمور بنفسه، سيعدل وينصف ويلبي المطالب ويحقق الأحلام"[3] عبرت هنا شخصية عن عدم السكون والنفور من الظلم وتمكنه من تحقيق هدفه ووعيه بأن المطالب لا تحقق إلاَّ بالنضال، فهذه الفئة من الشباب المثقف والواعي أن رفض التهميش والسعي إلى التغيير هو الحل الأنجح لمكافحة جل القضايا سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك.

[1]- الرّواية، ص71.

[2]- الرّواية، ص104.

[3]- الرّواية، ص137.

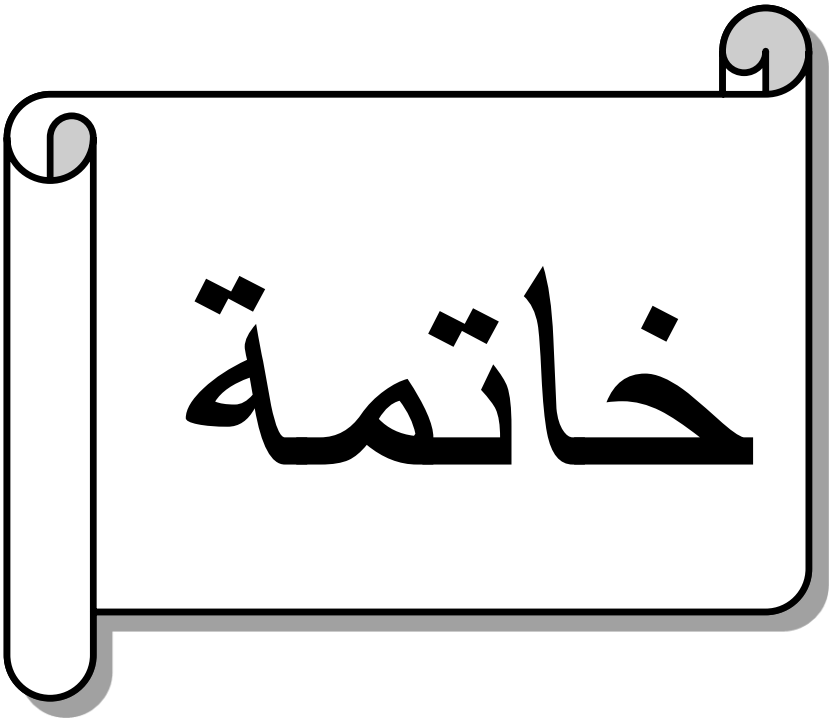
خاتمة

بعد فراغنا من الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج نذكرها تباعا:

- لقد ظهر المذهب الواقعيّ على أنقاض المذهب الرومانسيّ الّذي كان غارقا في المثاليات التي لا أساس لها في الواقع.
- تشعّب المذهب الواقعيّ إلى اتجاهات متباينة تباينت حسب الخلفيات التي انطلقت منها، فانبجس من المذهب الواقعي: الواقعية الطبيعيّة والاشتراكية والنّقديّة.
- لقد أثبتت الواقعية النقدية فاعليتها ونجاعتها، وذلك بأن وفّقت الروائية في وصف الظاهر الاجتماعية، لغرض تعرية الواقع والكشف عن تناقضاته، وذلك تحت مسمى الواقع السائد أو الكائن، فتحدثت عن النكسة التي تعرض لها شخصياتها، فتمزق حلمهم وذلك نتيجة مشاكل نخزت باطن الوطن وهي: البطالة، الفساد، الطلاق، المخدّرات، الهجرة. فكان لكل واحد منهم أثر بالغ ترك في نفسيتهم، فقد كانت ترمز الشخصيات إلى خليط من الكلمات "معاناة، ألم، فقر، ظلم، نضال، تهميش، خذلان، خيانة، غدر، فقدان الأمل"، كل كلمة تحمل دلالة عميقة تعطي بعدا اجتماعيا واقعيا أدق للرواية بحيث تبين نضال ياسر وخذلانه، وخيبة أمل وتهميش قاسم وصهيب إذ انتهت حكاية هذه الشخصيات بالموت جريحة القلب مبتورة الجناح.
- صوّرت الروائيّة ظاهر الاغتراب المتمثلة في شخصية من شخصيات الرواية وهو ياسر الذي يعيش اغترابا داخل مجتمعه من خلال القيم والأفكار التي يحملها، أودت به إلى نهاية تراجيدية.
- تعكس الروائية هشاشة الواقع وعنفه حيث أصبحت كلمة "نحيط" هي المكملة لكل الخطابات التي انتهت بها هذه الأخيرة .اختارت الكاتبة الكشف عن القضايا الاجتماعية والتناقضات التي في المجتمع.

- لقد تضمنت الرواية رؤية استشرافية تحت مسمّى الواقع الممكن، وذلك من خلال شخصيّة ياسر الذي وضع عدّة إستراتيجيات للإصلاح؛ لأنّ الرواية التي تعتمد على الاتجاه الواقعيّ النّقديّ لا تستكين إلى الواقع السائد، ولا تكتفي به، بل تدفع به إلى ذلك الواقع المنشود الذي هو مطمح الروائيّ.

- صحيح أن الشخصيات واعية في الرواية لكن رغم ذلك لم تتمكن من إيجاد حلول كما يجب لردع كل تلك الأزمات كما يجب.

ومنه نستنتج أن الواقعية النقدية هي الموضوع الجوهري للرواية. كما ننوه إلى أن بحثنا هذا لا يعد بحثا مثاليا لكننا اجتهدنا في إعطاء هذا الموضوع حقه للإلمام به.

الملحق

1. نبذة عن الروائيّة:

ولدت الروائيّة حسيبة سوفي، بتاريخ 16 جويلية 2002م، في ولاية الشّلف درست تخصص اقتصاد وتسير المؤسسات، ولم يمنعها تخصّصها من إمساك الإبداع الروائيّ من خطامه، فكان لها عدّة أعمال أدبيّة .

الأعمال الأدبية: رواية الكترونية بعنوان "ألوانك على يدي" ورواية ورقية بعنوان "نحيط الوطن"، عبرت من خلالها عن قضايا الوطن والإنسان بأسلوب سردي متميز.

كما أنّ لديها مدونةٌ شخصيةٌ نشطة على منصة "كلود" من أكثر المقالات قراءة فيها مقال بعنوان "برمودا الموت – مثلث يبتلع الأطفال في غزة"، كما أنها عضوة فعالة في الاتحاد العام للكتاب بولاية الشلف.

2. ملخص الرواية:

رواية "نحيط الوطن" هي عمل أدبي سياسي اجتماعي يعكس الواقع المؤلم الذي يعيشه المجتمع الجزائري اليوم، نتيجة لتفشي الفساد السياسي وسوء فهم معنى الوطنية لدى فئات واسعة من الشعب.

تسلط الكاتبة الضوء على قضايا اجتماعية معقدة تمس الحياة اليومية للوطن، كالبطالة، الفقر، التفكك الأسري، المخدّرات، السّجن، الهجرة غير الشرعية، واستغلال الطفال، وتتناولهما ضمن حبكة مأساوية تهدف إلى التوعية وإثارة الوعي الجماعي بمخاطر هذه الظواهر.

تدور أحداث الرواية حول ثلاث أصدقاء "قاسم، صهيب، ياسر" يعيشون طفولاتهم معا في بلدة برج البعل، يدرسون معا إلى غاية وصولهم إلى البكالوريا ثم ينفصل قاسم عنهم ويقرر الخروج من المدرسة بسبب موت أبيه فلا يوجد من يعيل العائلة إلا هو، أما صهيب يتابع دراسته في الجامعة تخصص تاريخ وذلك كان حلمه أن يصبح أستاذا ليعلم الأطفال تاريخ بلادهم، أما ياسر فيتابع في الجامعة تخصص العلوم السياسية، تسير الحياة حتى يتخرج كل من صهيب وياسر من الجامعة لكن لم يحالفهم الحظ في إيجاد عمل رغم تحصيلهم الدراسي الجيد، يشرع صهيب في البحث عن عمل فيجد نفسه يعمل عامل نظافة أما صهيب فيجد عملا في بلدتهم.

يتعرض قاسم في العمل إلى إصابة خطرة أودعت به إلى المستشفى، لكن الأمر لم ينتهي بشفائه فهو لم يعد بإمكانه حمل أي شيء ثقيل فيتحصر على نفسه من الوضع الذي صار فيه. وفي جهة أخرى يبدأ ياسر نضاله رغبة في تغير الأوضاع المزرية التي في بلدتهم فلا مستشفى ولا مدارس كافية.... يضطر ياسر إلى رفع صوته لرئيس البلدية، وبعد كل النضال والمظاهرات لا يستجيب فيبدأ الصراع بينه وبين قادة نبهاري الذي نشر الفساد وعزم على إفساد كل خطط ياسر.

يقرر قاسم وصهيب الهجرة ورغم معارضة صديقهم ياسر لذلك إلا أنهم بقوا مصرين على فكرتهم، يذهب كل من قاسم وصهيب في هجرة غير شرعية فيصل قاسم إلى البرية وصهيب لم يظهر أي خبر عنه.

يكمل ياسر نضاله إلى غاية انتخابه ليكون رئيسا في المجلس الشعبي البلدي فرح بمنصبه وشرع في التغيير إلا أن قادة لم يصمت وبقي يكيد له المكائد، إلى أن أدخله السجن فقضي أمره هناك، قتله بائع المخدّرات الذي وشى به إلى الشرطة.

قبل موت ياسر يلقى قاسم حتفه في الغربة على يد أجنبيان فيطعنانه بسكين حاد وبذلك يودع والدته التي كانت تتحدث في الهاتف معه، وبهذا تنتهي قصة هؤلاء الثلاثة الذين عانوا من التهميش والمعاناة.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

المصادر:

- حسيبة سوفي، نحيط الوطن، دار المعلم، ط1، الجزائر، 2024م.

المراجع:

1. محمد مندور، الأدب مذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة.
2. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر، د ط، القاهرة، مصر، 2013م.
3. محمد الأمين بحري، البنيوية السكونية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دار الأمان، ط1، الرباط، 2015.
4. محمد عزام، تجليات الخطاب الروائي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، دمشق، 2003م.
5. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007م.
6. مصطفى قاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصّبة للنشر، د ط.
7. فايز ترحيني، الدراما ومذاهب الأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط1، 1988م.
8. سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجريّ، دار الينابيه، ط1، دمشق، 2000م.
9. صلاح فضل، منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبيّ، دار المعارف، ط2، مصر، 1997.
10. محمد مندور، في الأدب والنقد، مؤسسة هنداوي، د ط، 1949.

11. سيد حامد النَّساج، في الرومانسية والواقعية، مكتبة غريب، د ط، شارع كامل صديقي(الغجالة).

12. فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، عبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر، ط 1، العراق، 1989.

13. حسن الخاقاني، في النقد الأدبي الحديث والمذاهب الأدبية، مكتب الباقرة للطباعة النجف الأشرق، ط1، 2010م.

14. حسن الخاقاني، في النقد الأدبي الحديث والمذاهب الأدبية، مكتب الباقر للطباعة، ط1، 2010.

15. محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، دار الأمل، ط1، الأردن، 1991.

16. آمنة بلعلى، المتخيل في الرّواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل، ط2، تيزي وزو، 2011م.

17. عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، د ط، 1999م.

18. عادل اسعيدي، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية، عبد القادر بختي، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، آفاق المعرفة، مج11، ع4، 2019م.

19. لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، تر: بدر الدين عردوكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1993.

20. صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1980م.

21. موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د ط، مصر، ج1.

22. محمد أحمد حسن القضاة، الوافي في شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني الجديد، حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى المؤلف، عمان، 2012م.

23. س. بيتروف، الواقعية النقدية في الأدب، تر: شوكت يوسف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.

24. ليلى عنان، الواقعية في الأدب الفرنسي، دار المعارف، د ط، القاهرة.

25. عباس خضر، الواقعية في الأدب، سلسلة الكتب الحديثة، دار الجمهور، د ط، بغداد، 1967م.

26. الرشيد بو شعير، الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1996م.

المعاجم:

1. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج1، دار الحديث، د ط، ، القاهرة، 2008م.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، د ط، القاهرة.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، د ط، بيروت – لبنان، 1982.
4. نواف ناصر، معجم المصطلحات الأدبية، دار المعتز، ط1، عمان، 2011.

المجلات:

1. حسام الدين زكي، ميادة رشيد كامل، تحليل مشكلة البطالة في العراق لمدة 2003–2008، مجلة العلوم الاقتصادية، مج9، ع33، تموز 2013م.

2. حاج علي ليلي، تمظهرات البطل الإشكالي في القصة القصيرة الجزائرية، مح فصل الخطاب، مج11، ع2، وهران (الجزائر)، جوان 2022.

3. بدرية سفير، الرواية الجزائرية تحت مظلة الواقعية، مجلة الآداب واللغات، ع 1، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2023م.

4. فؤاد حبيب، بلاهدة حنان، ظاهرة الهجرة في العالم، قراءة في المفهوم والاقتراب النظري، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي علي كافي تندوف– الجزائر، مج6، ع1، 2022م.

5. إيمان بلحمرة، مفهوم المخدرات تصنيفاتها وأهم أنواعها، مجلة القيس للدراسات النفسية والاجتماعية، مج5، ع17، الجزائر، 2023م.

6. بوجمعة وعلي، الواقعية النقدية في القصة والرواية المغربية محمد زفزاف أنموذجا، قضايا الأدب المغاربي، جامعة البويرة، مج4، ع1، 2019.

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمة .....أ

الفصل الأول: الواقعية المفهوم والنشأة والاتجاهات.

1. المذهب الرومانسي ..... 11.
2. الواقعية كرد فعل على الرومانسية ..... 13.
3. مفهوم الواقعية..... 15.

أ. لغة ..... 16.

ب. اصطلاحا..... 17.

4. نشأة الواقعية ..... 18.

أ. الواقعية عند الغرب ..... 20.

ب. الواقعية عند العرب ..... 22.

5. اتجاهات الواقعيّة ..... 24.

أ. الواقعيّة الطبيعية ..... 25.

ب. الواقعيّة الاشتراكية..... 28.

ج. الواقعية النقدية ..... 31.

6. الواقعية في الرواية الجزائرية ..... 35.

الفصل الثاني: الواقعية النقدية وتمثّلاتها في رواية نحيط الوطن

1. الرؤية الواقعية للراوائيّ..... 40.
2. راهنيّة الواقع السائد ..... 47.

أ. البطالة..... 47.

ب. الفساد..... 53.

ج. ظاهرة الطلاق ..... 58.

د. ظاهرة المخدرات..... 60.

هـ. ظاهرة الهجرة..... 62.

ز. الاغتراب وتمثّلاتها في البطل الإشكالي ..... 66.

3. إستراتجية الرؤية الاستشرافيّة ..... 72.

خاتمة ..... 76.

الملحق..... 79.

قائمة المصادر والمراجع ....84.

الفهرس ....89.